غاب الرذيف

لأحدهم

غاب الرذيم

الفهرس

1-الخيال.................5
2-رسم...................8
3-جنازة مها............11
4-السادس الذهبي..17
5-مسقط..............21
+جيم بوي أدفانس...28
6-الوثيقة.............33
7-جذور.................38
8-العنقاء..............44
9-برتقالي.............49
10-بائع الفحم.........55
+مانيفستو............60
11-رذيم × سراب.....64
12-بيدق...............68
13-كي سيامو نوي!.74
14-الجيل الثالث......78
15-قرص...............83

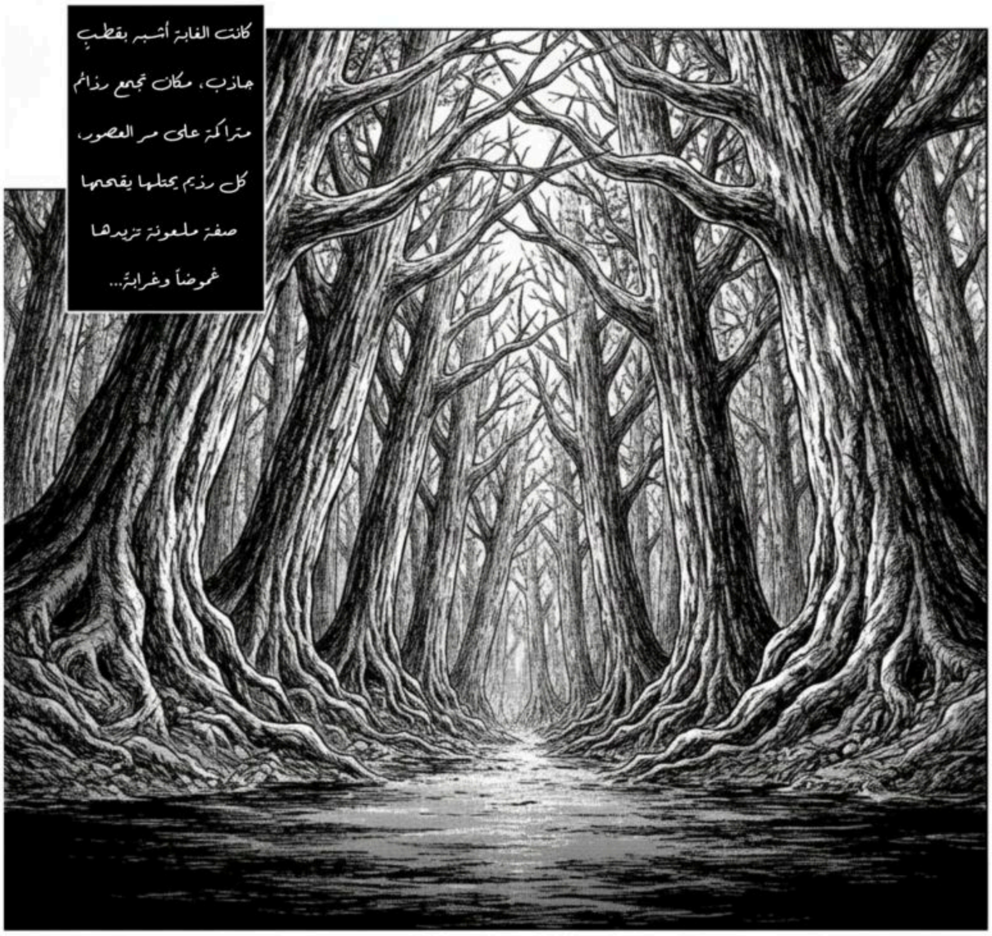
كانت الغابة أشبه بقطب
جاذب، مكان تجمع رذائل
متراكمة على مر العصور،
كل رذيم يحتلها يقحمها
صفة ملعونة تزيدها
غموضاً وغرابة...

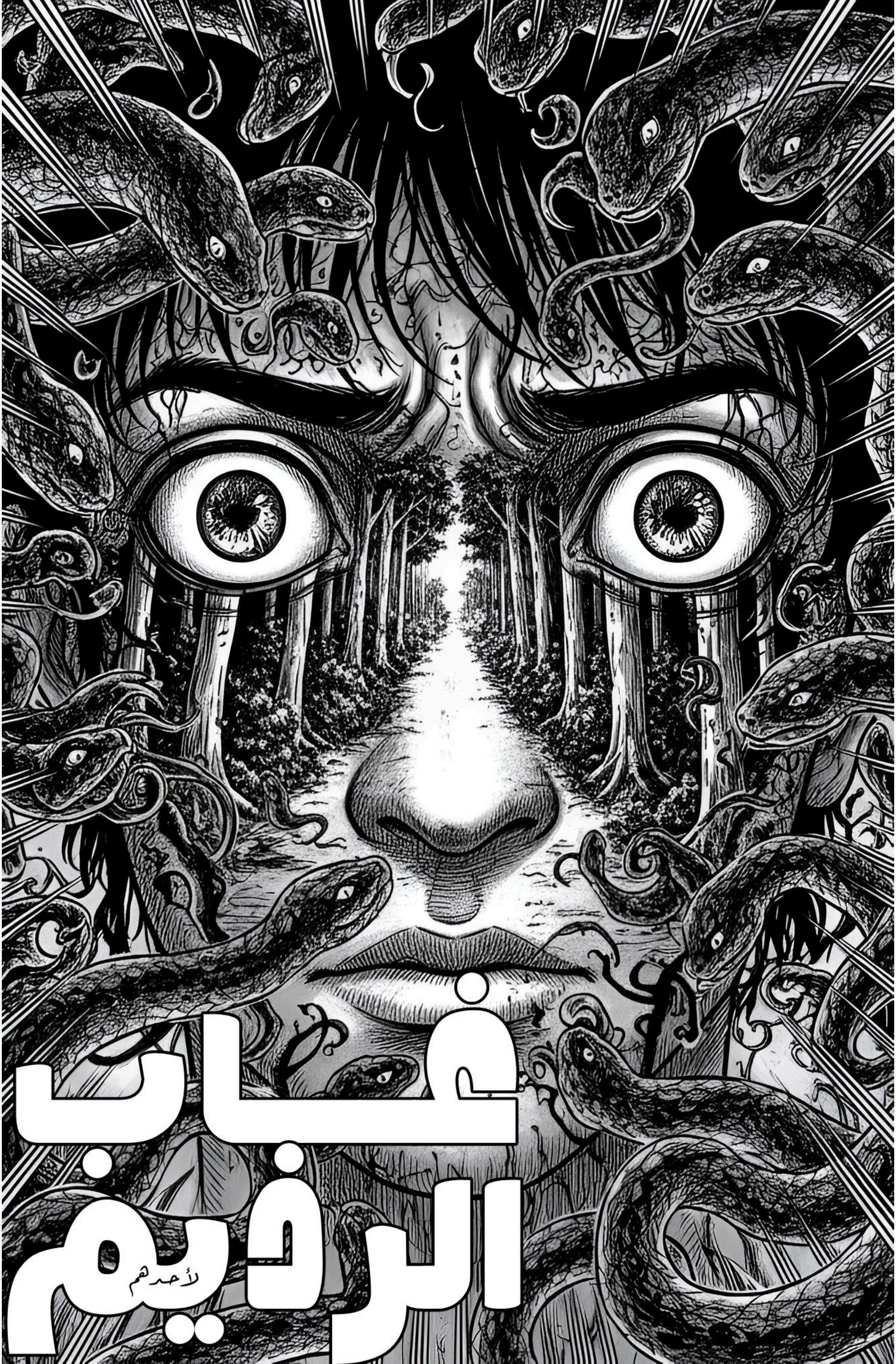
غاب
الرذيم
لأحدهم

الفصل الأول: الخيــال

كانت الغابة أشبه بقطبٍ جاذب، مكان تجمع رذائم متراكمة على مر العصور، كل رذيم يحتلها يقحمها صفة ملعونة تزيدها غموضاً وغرابةً...

معزوفة زاهية مشحونة بالشر، اليأس والغضب، تحاكي في أعماقها أعسار الدنيا وصراعاتها لتكون رذيماً جباراً يكافئ كل غصن ناعم مقدم عليه باختبار حياة؛ فإما ينقضي أو يُترك لرذائم أخرى انتهى أصحابها تتولى أمره في ذلك القطب الجاذب...

"هذا الوحش يشبه شرير التوكوساتسو الذي شاهدته في طفولتي، لكنه مجرد أسد، حقاً لا يمكن مجاراة خلق الله، فمهما فكرت أن أجعل شكله مميزاً لا يشبه أي مخلوق آخر، أجد نفسي غصباً أحاكي جسد حشرة أو أدمج حيوانات مع أنسنتها.."

"حسناً، سأسميه الحشاش، سيبث الرعب في قلوب زائري الشاطئ، ولن يبقي منهم غير الجدير بالبقاء. مهلاً، هذا الشاطئ ملعون حقاً، لكن هذه غيبيات نوعاً ما، وقوى خارقة لا وجود لها. أيمكن أن أكون برسمي هذا أتجرأ على الله؟ فهو فقط الخالق ومن يقول للشيء 'كن' فيكون!"...

فكر لوهلة ثم برر مشروعه بالخيال واستمر في الرسم، في قلبه حماس وأفكار يرغب في نشرها، أما الحشاش فكان مجرد قطٍ برتقالي لطيفٍ على رمال شاطئ ملون كأنه من كتاب نصوص ابتدائية.

..

كثرت الشائعات والأقاويل حول شاطئ غابي غامض يقع على أطراف مدينة ساحلية. هذا المكان يتميز بأشجاره الكثيفة العملاقة، ورماله المتحركة التي تبتلع كل من يسير عليها. مياهه أغمق تميل إلى السواد، ولا تتجانس مع مياه باقي البحر. ويُقال إن أشرس المخلوقات تتواجد فيه، وإن مصير كل من يدخله مجهول، وغالباً لن يعود.

خرجت مها من المدرسة وقد ملّها الضجر، ذهبت وحيدة إلى الشاطئ والتقطت بعض الصور، ثم همست لها نفسها أن تذهب وتكتشف ذلك الشاطئ الغابي الذي يبتعد تسعة كيلومترات عن مكانها، وانطلقت مترجلة بعدما كلمت أخاها الأكبر وأعلمته بمكانها ودعته ليغامر معها ليجيبها بـ "قد أقدم".

..

"هذا الرابر أسطورة حقاً، كلماته تنفلت كشرارة غضب، إنه يسب الدولة والحكومة بشكل جنوني. اللعنة على الدولة وتباً للظلم والقمع. فهي ليست سوى كيان داعر يحد من حرية الإنسان ويجعلنا مثل الروبوتات، لولا الدول لكان الإنسان على حقيقته أكثر والظلم أقل...

تباً، هناك شرطي يقف في آخر الطريق، على الأرجح سيسألني عمّا أفعل في هذه المنطقة النائية، قد يفتشني أو يسمع ما في سماعاتي، وأتمنى أن يسمع الأغنية ويعرف كم نكرههم، ACAB. سأنتظر مرور سيارة وأتسلل بهدوء دون استفزاز فضوله".

..

كان سليم في منزله يعزف على البيانو ويدخّن بعضاً من الزطلة. كان كل شيء في منزله منظّماً ومثالياً: بيانو وأدوات موسيقية في زاوية من الغرفة، وزاوية أخرى فيها حاسوب وأدوات للرسم الإلكتروني مع صندوق يحتوي على بعض المخدّرات. وهناك غرفة أخرى للصلاة والعبادات، تحتوي على مصاحف وسجاد جميل، وفي إحدى زواياها صندوق يضع فيه ماله. كما توجد في المنزل جنينة واسعة بها بعض أشجار العناب.

الساعة الأولى بعد الزوال .. كان في ذروة تخديره، عزفه كان متوازناً ومطرباً رغم عشوائيته. رن هاتفه ورد على أخته الصغيرة التي دعته لمرافقته للشاطئ الغابي، فيعود لوعيه فجأة كأنه لم يدخن كل ذلك الحشيش ويرد عليها بـ"قد أقدم"، ويذهب لحاسوبه يتفحص رسماً قديماً له فيه وحش مخيف على شكل أسد في شاطئ مظلم وحشي. أول ما رأى القطة التي رسمها تذكر قطه الذي قُتل من قبل، حزن قليلاً لكنه بقي يفكر في العلاقة بين السنوريات.

لقد رسم قطاً لطيفاً يشبه لحد كبير قطه القديم، لكن ما رسمه في الحقيقة يعبر عن وحش سادي وظيفته فقط القتل والتلذذ بالتعذيب.

ويقرر وقتها تأليف موسيقى هادئة تحت عنوان "الشاطئ" تكون تلك الرسمة غلافاً لها، وبعد ساعات، قصد منزل عائلته ليسهر مع أسرته المكونة من أمه وزوجها وأخته مها غير الشقيقة، فيعلم خبر اختفاء أخته.

الفصل الثاني: رسم

"فنٌّ زاهٍ ملوّن يعبر عن ألمٍ وغضب، وجمهورٌ سعيد يرقص جاهلاً بحقيقة ما يتلقّاه"

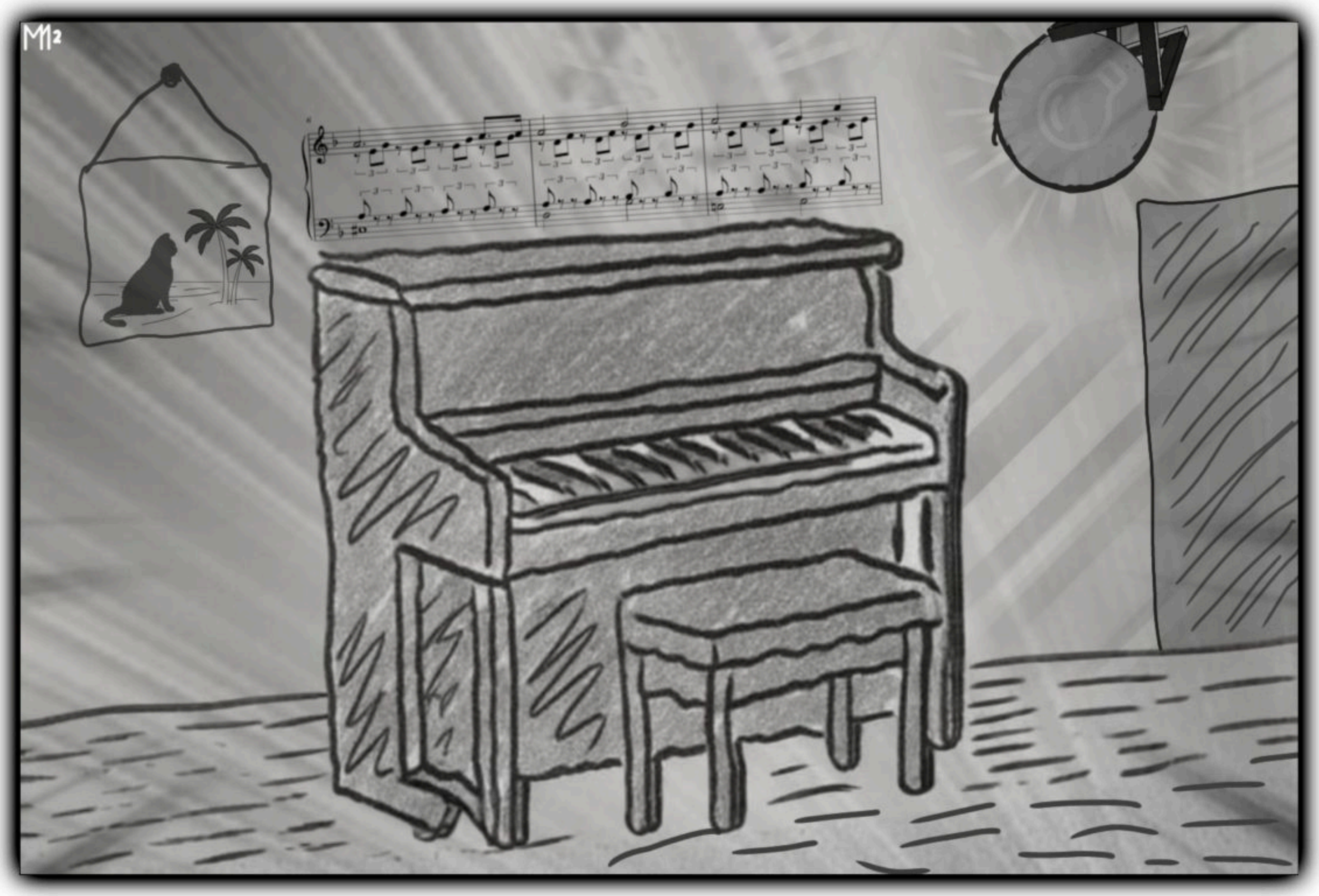

— كفّارة يا صاح! صرتَ رجلاً الآن هههه، كيف كان الحجز؟

— اللعنة، كلما تخيلتُ جهنّم وجدتها أهون من هذا الشهر؛ غرفةٌ عَفِنةٌ مغلقة، يختنق فيها الهواء، ويُزَجّ فيها شتّى أصناف البشر. هذا قاتل يحمل في عينيه بقايا جريمته، وكان هناك سارق يحدق في سقف الزنزانة طوال الليل كأنه يحفر نفقاً بعينيه، وذاك مروّج مخدرات، وذلك إمام مسجدٍ تَدَخّل في السياسة، وآخر يحدّق إليك كأنك عروس فاتنة، أما ذلك الذي خرج معي فمراهق لم يفعل سوى إعادة نشر مقطع عن الجهاد فصُنّف إرهابياً.

الضوء لا يُطفأ أبداً، كأنه عقوبة إضافية، ولا أثر لأبسط مستلزمات النظافة، لكن الأسوأ... الأعوان، إنهم أروع من الشياطين.

في الاستجواب كانوا أربعة: أمامي رجل غليظ يضرب وجهي مع كل كلمة أنطقها؛ وخلفي آخر لا أكاد أسمع صوته، لكنه يفاجئني بصفعة أو ركلة كلما ظنّ أني ترددت. أما الثالث فثعبانٌ بوجه بشري، يكلمني برفق، يناولني سيجارة، ثم ينظر إليّ نظرة تكشف ما يخفيه؛ لو أغضبته لحظة لقتلني دون أن يرمش. والرابع بارد الملامح، لا يضيف شيئاً سوى طلبه المتكرر: "أعدْ كلامك".

سليم، لو تجرّب ما جربته ستعزف أسعد موسيقى على الإطلاق!

عاد حطّاب إلى بيته وكتب عن تجربة حجزه بتهمة التحريض على الدولة في كتابٍ له، بأسلوب مباشر تماماً كما وصفه لصديقه ... قاده حقده للانتقام، ولم يكن يريد غير الدم. قصد منزل "فهمي"، أحد الأعوان الذين حققوا معه وأكثرهم ضرباً له ... تخطى سور الفيلا، فلمحا بعضهما البعض.

"ضيفي العزيز! هل اشتقت إليّ بهذه السرعة؟ يبدو أن شهر الحجز لم يكن كافياً لتأديبك. ممتاز، فأنا أشعر بالملل، ووجهك هذا يفتح شهيتي للعمل من جديد ... سأجعلك تتمنى لو أنك متَّ في زنزانتك قبل أن تفكر في المجيء إلى هنا، سأغتصبك أيها اللقيط !"

فرّ حطاب هارباً بدراجته النارية، حاقداً، يائساً، يشعر بالجبن، نحو الشاطئ...

...

أخبر والدته عن الاتصال، وأخبرت الشرطة.

"لقد وضعنا لافتة الخطر ومنع دخول المكان، وهناك زميل شرطي مرور لم يلحظها، لذا، وبالنظر للمعطيات الحالية، ابنتكم في حكم المفقودين بمحض إرادتها. عشرات الزملاء فُقدوا منذ ست سنوات هناك، ربما هناك تفسير للأسطورة، لكن لا أعتقد أننا سندرك سر الشاطئ الغابي.

الدولة لا تملك سلطة على ذلك المكان، يعني أن ما يحدث هناك يتجاوز قدراتنا. اعتبروها انتحاراً، أو هروبا من المنزل أو غير ذلك، لعلها هربت مع صديق لها فهذه الحالات منتشرة عند المراهقين هذه الأيام ... أي اننا لن نضحي بحياتنا من أجل فرخة بدون عقل، ولو حدثت معجزة وعادت لكم مع أني لا أعتقد هذا، فمكانها وقتها في الإصلاحية نظرا لعصيانها لافتة مكتوبة بوضوح."

...

كان سليم حزيناً، حزيناً جداً لاختفاء أخته، يشعر بندم شديد لتجاهل دعوتها وعدم منعها من قصد المكان. يعزف مقطوعة "الشاطئ" في منزله، منزل أبيه "كامل" الذي ورثه عنه بعد وفاته، والذي كان يبيت فيه ويعزف بعدما تزوجت والدته الأرملة من "ساسي" وأنجبت منه أخته مها.

إنه شاب حسنٌ ومنظم، ذكي وهادئ، عازف ورسام، عمره واحد وعشرون سنة، منقطع عن الدراسة، يشتغل عازف بيانو في مطعم، وتُعرف معزوفاته على أنها بهيجة وسعيدة.

...

كانت الغابة من الداخل فسيحة، وكأنها عالم منفصل يمتد بلا نهاية، متصلة بالشاطئ الملعون الذي يبدو تماماً كما في الشائعات؛ وحوش في كل مكان خاصة الأفاعي العملاقة، والجثث المتدلية على أغصان الأشجار تتأرجح بصمت وتطلق رائحة عفنها كأنها مراقبون صامتون لكل نفس. أصوات غريبة وكل شيء غريب يبث الرهبة ... كانت مها تشعر بالخطر متمسكة بأمل قدوم أخيها.

الفصل الثالث: جنازة مها

"إنها هي، أخته الصغرى مها. ما الذي تفعله هنا؟ لقد تخطّت الحاجز، ولا يمكنها العودة بعد الآن. لنراقب مصيرها أمام قط أخيها ..."

"ثعابين عملاقة، بقايا موتى في كل مكان، ماء حالك السواد ...
يا لطيف، ما هذا؟! حقًّا تبدو الأقاويل صحيحة ... أيعني هذا أنني مُقبلةٌ على مصيرٍ مجهول؟!
يا ربّ، أبقِني حيّة ... سليم سيأتي حتمًا ... مهلاً ... هذا الصوت ... ! كأنّه إحدى معزوفات أخي ... سأجرّب الاتصال به ... كما توقّعت، لا إشارة. لا شيء يعمل هنا ... حسنًا ... لا داعي لتوقع الخسارة مباشرة ... سألبث مكاني."

"زائر جديد! إنه خائف، خائف جدًّا ... مُثير! لكن رائحته تبدو مألوفة، وكأنها جزء من المكان. ها هي! تبدو أنثى هشّة، وتقطيعها سيكون أسهل وأمتع، وآمل ألا تكون مثل ذلك الدخيل ... وإن كانت فـ ...
مبدئيًّا تبدو هشة بلا قوّة تُذكر، لكن ذلك اللعين أيضًا كان يبدو بلا قوّى للوهلة الأولى.
سأختبرها، ولو كانت تجاريني فقد أستغلّ قواها للتخلّص من ذلك الدخيل وأجعلها في صفي.
حدسي يزأر بأنها أخطر مما تبدو، لكن لا يهمّ، عليّ الهجوم."

"تتظاهر بالهدوء والقوّة، وهي في أقصى درجات التوتر والرعب، تمامًا مثلي يومي الأول في الحجز. أخت صاحب الرذيم هذه غبيّة. أتذكّر أنها كانت طفلة شقيّة مدلّلة تقول أي شيء يأتي ببالها. ضربتْ مدرّستها مرّة في الابتدائية وشتمت العمدة عندما زار أباها. تشبهني إلى حدّ كبير، وأراهن أنها دخلت المكان لترضي فضولها، ما زالت جثة هذا الرجل معلّقة حيث شنق نفسه خوفًا عندما لمح الحشّاش آتيا ليعذّبه."

...

_مرّت ثلاثة أيام وابنتك لم تعد. أفكّر في إقامة جنازة، ونعمل لها قبرًا فارغًا، على الأقل ليكون لها ضريح.

كانت الأم تبكي بصمت، وزوجها يسبّح في الزاوية، والابن مستلقٍ يستعمل هاتفه.

_أبهذه السرعة فقدتَ الأمل يا ساسي؟ أنا أرجّح أن ابنتنا حيّة! لا أستطيع تصديق أننا فقدناها بهذه السهولة... — بكاء —

_أنا أيضًا أشعر وكأن شيئًا بداخلي يلتهمني عندما أتذكّر أنها ذهبت هناك... تخيّلها ميتة أفضل من تخيّلها تتعذّب. عبير، أسمعتِ بشخص دخل الغابة وخرج منها ؟ فلان بن علان جارنا، وفلانة بنت فلان زميلي، وعلان ابن أخت زوج ابن خالة أمك... كلهم لم يعودوا حتى الآن. ستّ سنوات وذلك المكان الملعون يبتلع الناس، الدولة عاجزة. رجال الشرطة وعدد من العساكر المتدرّبين لم يخرجوا.
شيء داخلي يدفعني لدخول الشاطئ، وعقلي يمنعني. كل اللوم على اللعين ابنك! عرف بالأمر ولم يتحرّك! لولا هو لما ضاعت مها... لو كنتَ ابني لقتلتك!

_أنت محق يا أبي. انا وغد. لم أكن أنا وأختي نصدّق الأمر، اعتبرناه خرافة. ولطالما وعدتها بأننا سندخل ونكتشف المكان، لكني من الداخل كنت فقط أتظاهر بأني أخ أكبر شجاع لا يهاب شيئًا. لم أكن أعلم أنها ستقدم على شيء جنوني كهذا. وعندما كلّمتني كنت... كنت ... أقصد لم أصدّق كلامها واعتقدت أنها فقط تلغو وتريد لفت الانتباه...

شعر بندمٍ شديد، ورغبة في العودة بالزمن، ورغبة في الاختفاء عن العالم. كانت رسائل المعجبين تزيده استفزازًا وتفتح جروحه أكثر. حمل نفسه كل المسؤولية؛ وكل نفس من الحشيش كان يحرّض غضبه ويزيد رغبته في الانتحار...

لكنه يعرف أنه جبان، لا يستطيع حتى الاقتراب من منطقة الشاطئ. كان كاذبًا ... وفنّه كاذب ... وهذه هي ذاته التي يكرهها، والتي أدرك أنها لم تتغيّر بل ازدادت سوءا.

أمسك شفرة ليجرح نفسه، لعلّه يشعر بالألم فيرتاح ... لكنه لا يطيق الألم، لذا تراجع.
شعر برغبة في الصلاة، لكن صوتا الداخلي همس له بأنه أسوأ من الشيطان ... فتركها.
تنفّس جرعة من الكوكايين قبل أن يسقط مغشيًا عليه.

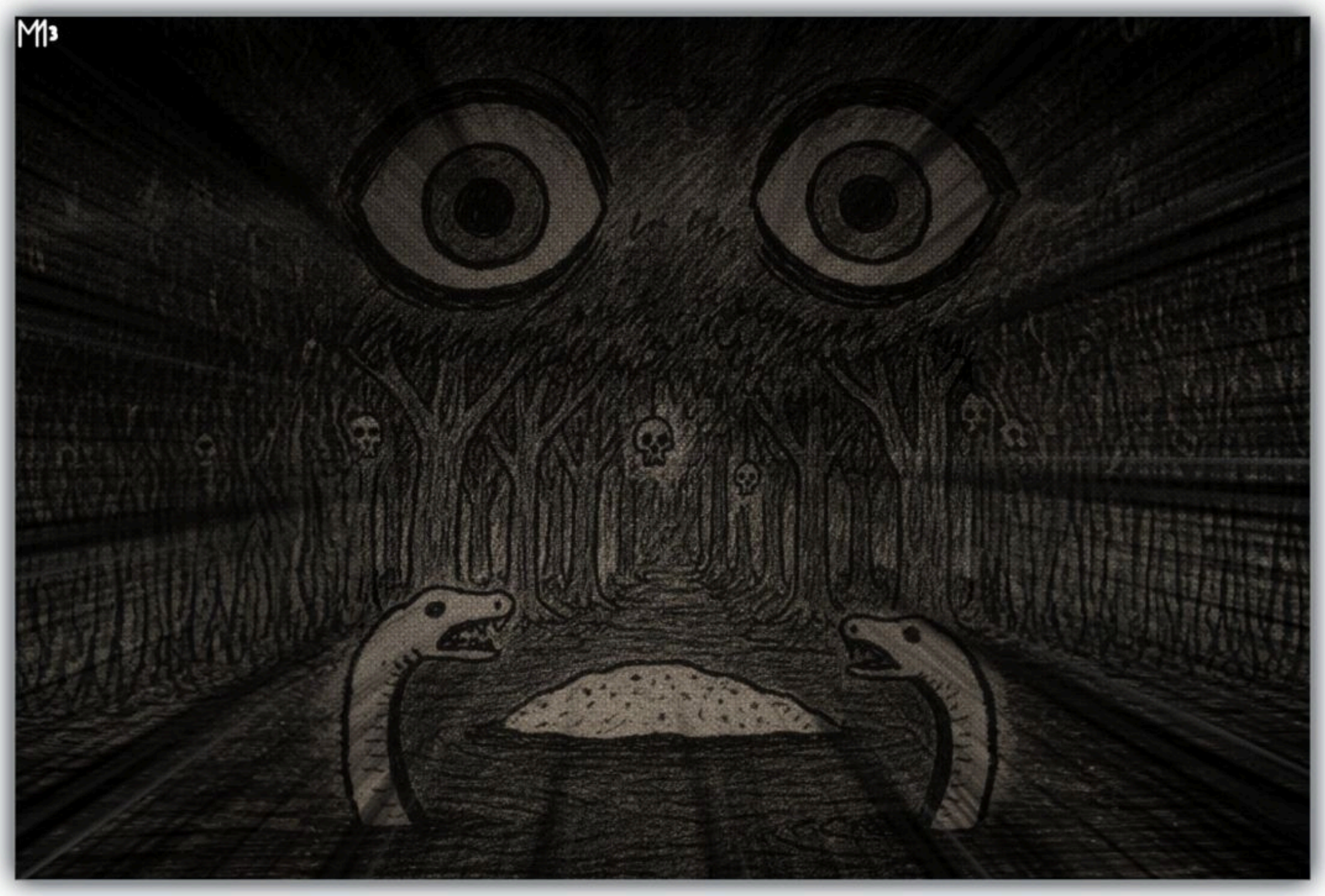

قبل 3 أيام...

هجم الحشّاش على مها وجرح ذراعها. كان حطاب يشاهد من بعيد، وأدركا كلاهما أن ليس لمها حول ولا قوّة. تدخّل حطاب:

_أيها القط اللعين، ألا تعرف قدرك حتى الآن؟ لا حول لك أمام حضوري.

_متى ستموت أو تغادر أو تدعني وشأني؟ هذه المرّة الثالثة التي تعرقل فيها وظيفتي...! بشري كريه...

_أعتذر، فمصالحنا تتناقض هنا، وهذه البنت ليست من نصيبك. كما قلت لك، أستطيع قتلك، لكن هناك أناس يستحقّون تذوّق نصل سيفك.

_لستُ كلبك لتأمرني وتقول لي ماذا أفعل!

_صحيح أنت قط، لكن غريزتك أقوى مني، ووظيفتك إنهاء أي إنسان يدخل هنا، لذا أنا أحتاجك ايها الهر النشيط !.

ترى مها ديناصورًا طائرا تحبه في الغابة، وتكتشف أن لها القدرة على التحكم به بعقلها، فتوجّهه نحو الحشّاش الذي صار يمتص طاقات غريبة من الغابة تمكنه التحرّك لأول مرة أمام خصمه لكنه يستغل طاقته ليهرب.

أثناء ذلك كان سليم في المقهى، ووضع العامل تسجيلاً لمعزوفته الجديدة "الشاطئ"، ليدخل بمجرد سماعها في حالة هستيرية من صداع شديد في رأسه كاد يُجِنه فيعتقد أنها تأثير الحشيش الذي دخنه ويتذكر فجاة أخته التي قالت أنها ذاهبة للشاطئ الغابي ويعتقد أنها تجلب الإنتباه وتريد بعض الإهتمام ومن يمنعها وهو لن يقع في فخها...

_إذن فقد تعلّم هذا الوغد كيفية استغلال الرذائم المتراكمة، أعتقد أنه عليّ أن أتغذّى عليه قبل أن يتعشّى بي. ماذا تفعلين هنا يا مها؟

_ألستَ صديق أخي، الساذج حطّاب الذي هاجر قبل 5 سنوات؟

_نعم، هاجرتُ إلى هذا المكان. وأعيدي تلك الكلمة، وسأفعل بك ما أراد الحشّاش فعله!

_ساذج! بالمناسبة أرأيت كيف أستطيع التحكم بالبتروسور.

_مخلوق ضعيف أمام الحشّاش لكنه جيد أمام غيره، سيحميك، يوجد هناك كوخ بناه أحدهم، امكثي فيه. وفي هذا المكان القريب من الشاطئ لن تشعري بالجوع ولن تحتاجي للأكل. لكن لو دخلتِ أعماق الغابة وابتعدتِ عن الشاطئ فستجوعين، والأكل نادر، لذا ستموتين لا محالة. فقط ... حظًا سعيدًا.

_شكرا أيها الساذج.

تـوجّـه سـلـيـم لـبـائـع الـمـخـدرات المـعروف باسم "الحـشّـاش" كي يشتري ما يسـتهـلكه هذا الأسـبـوع، وجد كـوكـاين بـسـعـر منخـفض فـاشـتـرى بـعـضـه، ثـم ذهـب إلى منزل عائلته ليعلم خـبـر اخـتـفــاء أخـتـه ...

الشاطئ الغابي

تستطيعون فهم كل شيء من قصتي دون الحاجة لهذه الإضافات، لكن بما أن أحدهم يعبث كثيرا بالأحداث وإطاراتها، فهاهو سيجعلني أشرح لكم ما عرفته من ذلك السافح حطاب... الغابة المتّصلة بالشاطئ كانت في السابق مكانًا مشؤومًا؛ كل من دخلها من قبل خرج يروي قصة غريبة، مثل رؤيته لوحشٍ ما أو إصابته بمرضٍ مجهول. كانت هذه القصص مثيرة للإهتمام لي ولأخي وكنا دائما نفكر أن نزور المكان ونكشف أسراره، ترى هل هو في الطريق ؟. لكن منذ خمس سنوات صار مصير كل من يدخلها غامضًا، وها أنا الآن أواجه هذا الغموض...

يبدو أنّ سبب كل هذه الغرابة هو طاقة تُدعى الرذيم. هناك حطاب يتظاهر بأنه لا يعلم عنها، وسأحاول أن أفهم منه. ويبدو أنّه، بطريقة ما، لديّ علاقة بهذه الطاقة، وهذا ما يجعلني قادرة على التحكّم بديناصوري المفضّل: البتروسور. يا لها من صدفة أن يكون هذا المخلوق الذي أحببته منذ صغري بسبب مسلسل كان بطله، هو الديناصور الوحيد الموجود هنا. أتذكّر حين طلبتُ من أخي أن يرسمه لي وهو يهاجم الشرطة، فرسم لي لقلقًا يحمل علم السلام! غضبتُ كثيرًا وقتها، يوجد صوت غريب يسمع في كل أنحاء الشاطئ، لحن حزين كأنها إفتتاحية مسلسل في نهايته الحزينة..أول ما تجاوزتُ شجرتين متشابهتين علقتُ هنا، وحاولتُ العودة لكن دون جدوى. لا يوجد اتصال، ولا يوجد طعام إطلاقًا، لكن إن ابتعدتُ عن الشاطئ نحو أعماق الغابة سأجوع أكثر. رمال البحر محدودة لكنها تبتلع كل من مشى عليها، ماء البحر أسود مخيف، تخرج منه أفاعٍ عملاقة يستطيع الحطّاب التحكّم في بعضها، وهناك وحوش أخرى متنوعة. دائمًا أشعر برغبة في النوم هنا، ولو استسلمتُ للنوم سأشعر بالغثيان والدوار. وبحسب كلام الحطّاب، يمكنني مقاومة النوم بفعل شيءٍ أحبّه، وها أنا غالبًا أستمع إلى أغاني الراب، خاصة الأسطورة، وألهو بالتحكم في البتروسور... الجماجم المعلقة على الأشجار العملاقة تبدو وكأنهامن مانجا سينين،منظر فاتن !

مها ابنة ساسي
15 سنة
طالبة إعدادية

الفصل الرابع: السادس الذهبي

كان لسليم في منزله قطٌّ برتقاليُّ اللون، نابضٌ بالحياة، يثير الإعجاب بقدر حيويّته؛ يعضّ ويخدش بلا رحمة، واجتماعيّ. كانت ندباته لا تختفي من جسد سليم، يرحّب بالضيوف من خلال عضّنا. لطالما كان يبقى معي عندما أسهر مع صاحبه؛ كان سليم وقتها يدرس في السنة الأولى ثانويّة قبل أن ينقطع، وأنا كنتُ في كلّيّة الفنون الجميلة. كان متعلّقاً به ويناديه بـ"الأسد"، وعندما سألته "لماذا أسد؟" أجاب: "كلاهما سنوريّان".

لا أعرف كيف أُعامل القطط، كنت أضربه أحياناً أو أُلقيه من يدي عندما يخدشني، لكنه مجرّد حيوان أليف ممتع. ذات مرّة ذهبت لسليم كي أُدرّسه قليلاً، وكان في حالة يُرثى لها من الزطلة؛ مثل الميت، لابثاً مكانه يُحَدّق في رسمة له على شاشة حاسوبه دون أن يحرّك ساكناً. مللت وقتها وذهبت للجنينة كي أعبث قليلاً مع قطّه وكان نائماً؛ رميته بحجارة صغيرة كي يفيق ولم ينهض، ثم حجارة أكبر قليلاً، ففاق وعاد إلى النوم. يبدو أنه كان مصابا أو به شيء، فليس من عادته أن ينام في ذلك الوقت. وشيء داخلي أمرني برميه بحجارة مدبّبة كي ينهض، فقتلته.. وتباً، كان شعوراً سيئاً جداً. أحيطت قطط الجنينة به وكأنهم يقيمون جنازة له وينظرون لي نظرة قاتلة. عدت لسليم وقلت له: "لقد قتلت قطّك"، ولا أظن أنه سمعني حتى. وعندما أفاق، حزن كثيراً لكنه لم يواجهني وتقبل الأمر كأنه خطأ عابر؛ كان هناك أمر يشغله لم يقل لي عنه، ربما تعب من الإدمان، أو الوحدة.

وقتها سألته: "ألن تعزف شيئاً يذكرك به؟" فأنا أعرف أنه يعني له الكثير، فأجابني: "ليس الآن". لا شك أنه فعلها لاحقاً وكان رذيم عمله كثيفاً لدرجة تشكّله على هيئة الحشّاش، ولا شك أن سليم ربط بين قطّه الذي قتلته وبين كنية ابن حيّنا شهاب الذي يبيع له الزطلة.

أُغمي على سليم وبقي على حاله لساعات، إلى أن قدم ساسي إلى منزله ليعتذر له عمّا قاله. طرق الباب فلم يُفتح، فاستشعر أن الأمر غير طبيعي. تفحّص الداخل عبر الشباك الذي كان يسهل فتحه من الخارج، فرأى ابن زوجته مغمى عليه. كسر الباب وحمله إلى المشفى. تذكّر عندها كمية المخدرات التي رآها، فعاد إلى المنزل وأخذ كل ما كان فوق الطاولة وألقاه بعيداً، ولم يُخبر عبير بشيء؛ إذ لا أحد من العائلة يعلم أن سليم يستهلك المخدرات. ثم ذهب إلى الجامع ليتفق مع الإمام على إقامة صلاة الغائب.

بعد يوم، صلّى الجميع الجمعة، وأعقبوها بصلاة الغائب، ثم ذهبوا لتشييد قبر مها. أمّا سليم فقد أفاق لاحقاً، ولَمَح الشرطة أمامه.

كان الحشّاش شاباً في عمر حطّاب، يبيع سلعته في الأحياء المجاورة، وعضواً في عصابة. كان صديقاً لـ الأسطورة؛ ذاك الرابر ذائع الصيت الذي يشتهر بكرهه لظلم الدولة وشتمها في أغلب أغانيه، والذي يغني عن المخدّرات كثيراً معتبراً إياها عنصراً هاماً لإبداعه. وفي ذلك الوقت، كان الأسطورة في الأستوديو يبرف على ديس تراك لرابر آخر، وكان الحشّاش معه هناك، حتى اتصل به فهمي:

"اسمعني جيّداً... زبونٌ لك بلّغ عنك، والقوّة اقتحمت منزلك منذ قليل وعثرت على بضاعتك كاملة. اسمك أُدرِج رسميّاً ضمن المطلوبين الآن. ومن هذه اللحظة لا أعرفك ولا تذكر اسمي حتى في خيالك. سأحاول أن أجد لك مخرجاً، ولكن في التحقيق ستقول بالحرف إن البضاعة كانت من الأسطورة، وأنك مستهلك تقتني من عنده؛ الجميع يعلم صداقتكما، وهو أصلاً ملاحَق ومطلوب، ولن يشكّ أحد في روايتك. امسح رقمي في الحال... وإلّا فسأدعك تواجه مصيرك وحدك، ولن يرفّ لي جفن."

بعدما تركها حطّاب، جلست مها في الكوخ وشعرت برغبة قويّة في النوم مع دوار وغثيان؛ شعور مماثل للتجربة الأولى للحشيش، تقيّأت، وقاومت الشعور ثم انطلقت نحو الماء الأسود لتكتشف الثعابين والديناصور وراءها تحت إمرتها، لتبتلعها الرمال فجأة، ولسرعة بديهتها جعلت البتروسور ينقذها في الوقت المناسب وتغيّر وجهتها نحو أعماق الغابة، ليشتدّ شعورها بالجوع ثم تعود لكوخها. في الطريق واجهت بعض الوحوش الضعيفة التي كانت سهلة أمام ديناصورها. الحشّاش كان ينظر إليها تتنقّل ويفكّر كيف يصطادها ويصطاد حطاب.

وجدت أمام كوخها حطاب:

— كيف حال سليم؟

— بخير، الحمد لله... يعمل الآن في مطعم قريب.

— وكيف علاقتك به؟

— أخي شخص رائع، سيقدم إلى هنا من أجلي.

— متأكّدة؟ لم تجيبي أصلاً... ما الذي جاء بك إلى هذا المكان؟

— بدأت تكثر من أسئلتك الثقيلة، أتيت هنا لأستكشف المكان، هكذا اتفقت مع أخي لكنّني وصلت قبله.

— غبية... أعرف أخاك جيداً، لن يجرؤ على المجيء، إنه جبان. الآن هو غالباً في بيته، يدخّن الحشيش ونسي أن له أختاً. ومع ذلك... لو حضر، فسيكون الأمر مثالياً.

— أيها الساذج اللعين أخي ليس جباناً! يدخن الحشيش؟! ولماذا سيكون الأمر مثالياً؟"

— لا داعي لأن تعرفي، المهم...

...

— هذا الرذيم كثيف، يخرج من هاتفك نحو أعماق الغابة! اسمعيني، اجعلي ديناصورك يحملني نحو اتجاه الطاقة.

يبدو أنّ سبب كلّ هذه الغرابة هو طاقة تُدعى "الرذيم". هناك حطّاب يتظاهر بأنّه لا يعلم عنها، وسأحاول أن أفهم منه. ويبدو أنّه، بطريقة ما، لديّ علاقة بهذه الطاقة، وهذا ما يجعلني قادرة على التحكّم بديناصوري المفضّل: البتروسور. يا لها من صدفة أن يكون هذا المخلوق الذي أحببته منذ صغري بسبب مسلسل كان بطله، هو الديناصور الوحيد الموجود هنا. أتذكّر حين طلبتُ من أخي أن يرسمه لي وهو يهاجم الشرطة، فرسم لي لقلقاً يحمل علم السّلام!، غضبت كثيرا وقتها ... يستطيع حطّاب التحكّم في بعض ثعابين الماء حسب كلامه، وأخبرني أيضاً أنّه يمكنني مقاومة النوم بفعل شيءٍ أحبّه، وها أنا أستمع إلى أغاني الأسطورة قبل أن تفرغ بطارية هاتفي وألهو بالتحكّم في البتروسور ... الجماجم المعلّقة على الأشجار العملاقة تبدو وكأنّها من مانجا "سينين"، منظر فاتن! إنّها بقايا ضحايا الحشّاش.

من خلال نفق في الأستوديو توجّه الأسطورة والحشّاش نحو الغابة...

الفصل الخامس: مسقط

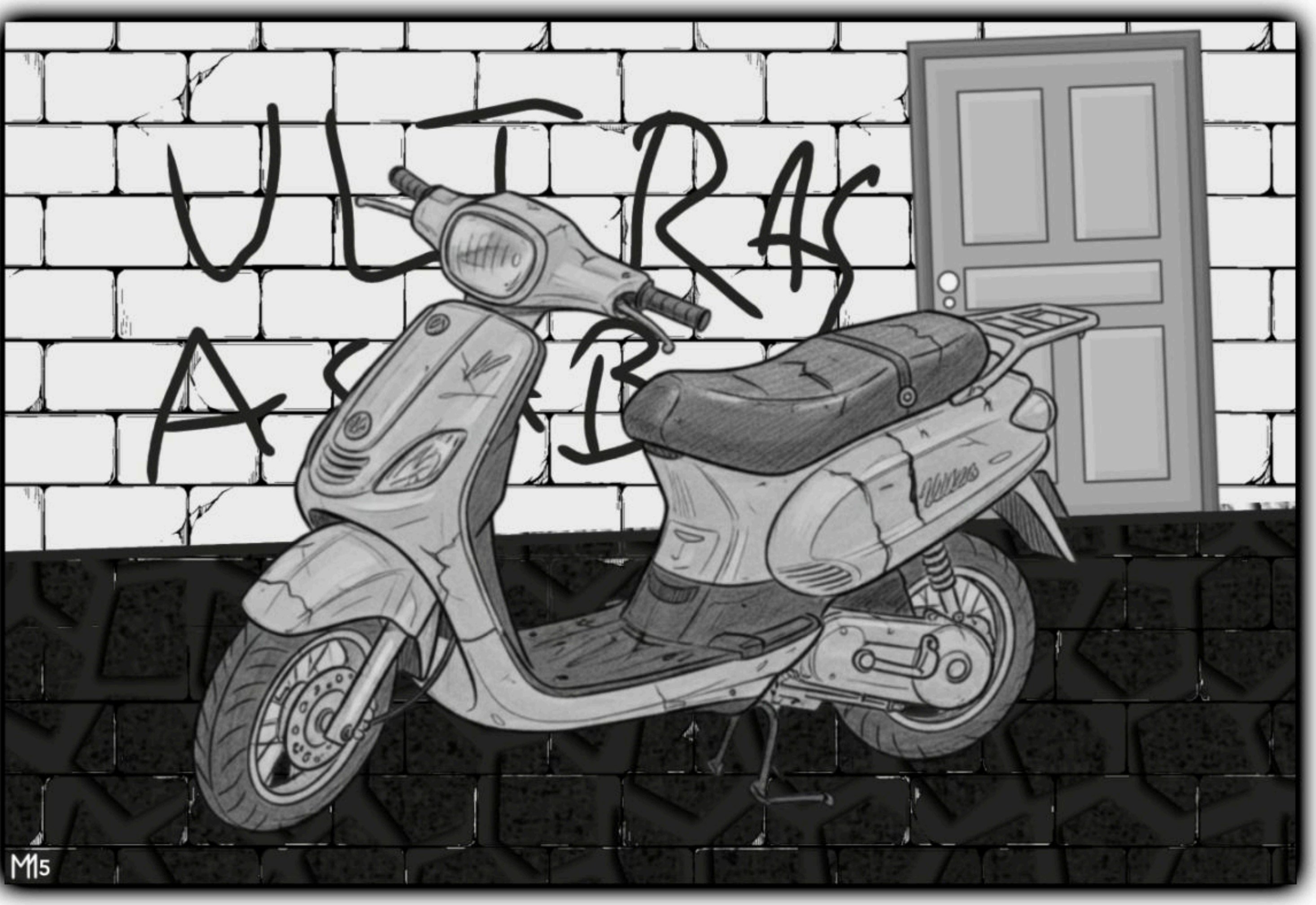

فتحتُ باب منزلي ذلك الصباح فوجدتُ رسالة استدعاء للتجنيد. تبًا... أيُّ صدمةٍ هذه؟
لم يمضِ وقتٌ طويلٌ منذ تخرّجي من الكلية، وها أنا أعمل في محلّ موادّ بناء بصفةٍ غير قانونية؛
أي إنني لستُ عاملًا فيه رسميًا، بل أشتغل وآخذ أجري القليل كي أحسّن وضعيتي، وربما أتزوج وأعيش بسلام، بينما أنشر كتبي التي تُلخّص حياتي وأفكاري، وأنشرها غصبًا في دار نشر خالي الذي يطبع عشرين أو ثلاثين نسخة وبالكاد تُباع، لكن النسخة الرقمية تُقرأ جيدًا.

أمّا عن الخدمة العسكرية، فبأيّ حقّ تُنْزع من شبابي فترةٌ مهمّة لأُلقى فيها كالعبد، أتلقّى أسوأ معاملة ولا أجد أيّ حرية! مجرّد كبش فداء لدولتي اللقيطة في حربٍ لا تمتلك مؤهّلات خوضها! دولةٌ بلا هيبة، بلا أثرٍ للكرامة، عاجزة أمام التطوّر العسكري لأعدائها، ومهانة دبلوماسيًا إلى حدّ أن كلبَ زعيمِ تلك الدولة يملك كبرياء أكثر من رئيسنا في الاجتماعات الدولية!
وحتى لو كانت دولةً محترمة، فمفهوم الدولة هذا لا أعترف به ولا يهمّني، وُلدتُ إنسانًا ولم أختر يومًا أن أكون مواطنًا.

مرّقتُ الاستدعاء كأنه بوستر إعلاناتٍ باهت، وخرجتُ إلى عملي. بعدها قدِم شرطيٌّ وكان ينظر إليّ بفوقية وكأنه وجدني مع زوجته.

سألني بحدّة:

"هل تعمل هنا؟"

أجبته بالنفي، لا لشيءٍ إلا كي لا يتورّط صاحب المحلّ، فمصدر الرزق هذا بالكاد وجدته.

عاد يسأل:

"إذن ماذا تفعل في حياتك؟"

كان السؤال صلبا على صدري. دارت في رأسي ألفُ طريق، وكلّها تؤدّي بي إلى المصيدة نفسها: إن عرف أنني متخرّج ومتهرّب من الخدمة العسكرية سيأخذني من فوري. كان بإمكاني رشوته... لكن حرام.

فقلت الحقيقة وقدّمت له هويتي، ثم ادّعيت أنني سأكمل الماجستير، وأريته شهادة تخرّجي على هاتفي. ولحسن الحظ، رنّ هاتفه وانشغل عني فمرّ الأمر بلا عنادٍ كبير... الله ستر.

وبالمناسبة، تلك بطاقة الهوية نفسها التي استخرجتها فقط لأجتاز البكالوريا، وما أدراكم ما البيروقراطية يومها، وأثناء ذهابي للإدارات حجزت دراجتي النارية لأنها بدون تأمين، ومعلوم ثلاثة أشهر تأمين لها أعلى من سعرها عندما اشتريتها مستعملة ... وقد كتبتُ عن تلك التجربة بالتفصيل في الفصل الثامن من كتيّب "حطّاب يثبت ذاته".

...

فتحت لمبة غرفة الاستجواب، وكان سليم محاطًا بشرطيين، أحدهما فهمي الذي أبلغ عائلته نبأ موت أخته ... تذكّر تجربة حطّاب فشعر بالخوف، ومن السؤال الأول اعترف بمصدر المخدّرات. ضحك الشرطي وشكره على تعاونه، أمّا فهمي فضربه ضربًا مبرحًا ولم يتلقَّ منه مقاومة، ثم انصرف للاتّصال بالحشّاش.

كان حطاب حذو مها التي تستمع لأغنية يوتوبيا الأسطورة.

_كيف حال سليم؟

_بخير، الحمد لله... يعمل الآن في مطعم قريب.

_وكيف علاقتك به ؟

_أخي شخص رائع، سيقدم إلى هنا من أجلي.

_متأكّدة؟ لم تجيبيني أصلًا... ما الذي جاء بك إلى هذا المكان ؟

_بدأت تكثر من أسئلتك الثقيلة، أتيت هنا لأستكشف المكان، هكذا اتفقت مع سليم لكنّني وصلت قبله.

_غبية... أعرف أخاك جيدًا، لن يجرؤ على المجيء، إنه جبان. الآن غالبًا في بيته، يدخّن الحشيش وناس أن له أختًا. ومع ذلك... لو حضر، فسيكون الأمر مثالياً.

_أخي يدخن الحشيش ؟! لماذا سيكون الأمر مثاليا ؟

_لا داعي لتعرفين، المهم، لقد أخفى الأمر بمهارة... ويخفي أكثر مما تتخيلين.

_آه ... وأنت طبعًا الفطن الذي يعرف كل ما يخفي من أسرار ؟

_بعضها فقط.

_وكيف؟ هل فضفض لك؟ لا أظن. أخي لم يعتبرك يومًا أكثر من مجرد تافه صعلوك. لقد كان دائم السخرية من كتاباتك، ومنذ أن اختفيت قبل أربع سنوات لم يذكرك حرفًا.

_أمامي كان يفرط في المدح... لأنه منافق. لطالما خبّأ أوراقه، خصوصًا في معزوفاته الخبيثة تلك. أتذكر يوم إتهمه والدك باطلا فاعتذر ذليلًا بدون أن يواجهه. وبعده بساعات، حين خرجنا مع الشباب، سبّ ساسي بكل كلمة نابية يعرفها، لقد كان مستاء جدا... قلت له حينها أنه ناقص رجولة، ضحك عليه الرفاق ولم يجبني أو يدافع على نفسه.

_أراك أنت قليل الرجولة، تعيد إليّ حادثة مدفونة منذ زمن لتطعَن بها أخي. أتريد أن تبذر الفتنة بيننا؟ أم تجعلني أكرهه؟

_نيّتي طيبة. فقط أكشف لك وجهًا آخر لابن والدتك

_وإن كان سليم لا يريد لهذا الوجه أن يُكشف؟

_الوضع الآن مختلف، ألا تشعرين أن هذا الشاطئ... متصل به بطريقة ما؟ ألا تجدين قطعة منكِ هنا ؟ ماذا تقولين؟

_لم أفهم، اشرح أكثر..

_الشرح سيقودك إلى عمق لا عودة منه... وقد يفسد فرصة نجاتك. اكتشفي وحدك.

_غريب أنك مهتم بحياتي، لكن من زاوية أخرى، أليس هذا بالضبط السلوك الذي تنتقده في أخي، إخفاء الأوراق، ها أنت تفعل مثله.

_لكنني أعترف أني أخفيها... وهذا بحد ذاته صدق مباشر.

_لو كان إخفاء كل شيء يخدم غايتك، لما اعترفت أنك تخفي شيئًا أصلاً.

_ربما..

_شخصية أخي وفنه هكذا أيضا! في آخر كتاب نشرته كتبت عبارة "فنّ زاهٍ ملوّن يعبر عن ألم وغضب، وجمهورٌ سعيد يرقص جاهلٌ بحقيقة ما يتلقّاه"، أدركت الآن أنها نقد لأخي أليس كذلك ؟، لكن هذه العبارة غريبة بالنسبة لشخص يكتب بأسلوب مباشر جدا، يعري كل تفاصيل حياته ومساوئه، ويهاجم بشكل ساذج الدولة التي يدرك أنها أقوى منه، وكأنك تريد الإنتحار بمشنقة الإعدام، أو ربما شرطي ألقى بك هنا عوض قتلك، لنعد لموضوعنا، لماذا لم تكتب "كان عندي صديق منافق لا أطيقه لكنني دائما معه"..

_لم أتوقع أنك قرأتِ كتبي... بل وحفظتِ عباراتي. ملاحظاتك مذهلة... وربما تغيّرتُ قليلًا منذ جئت إلى هنا، لست أدري. بالمناسبة... ما رأيك فعلًا في كتاباتي؟

_بينما نثرثر في موضوع تنحرف بي لموضوع آخر، لا تتوقع مني أن أطلب توقيعك، كلمة "ساذج" أفضل وصف لك، رغم ذلك أنا ساذجة أيضا، لكن بذكاء، وكلانا نتفق على كره الدولة والسلطة، يعني متأثرة بك قليلا، لكن هذا الرابر أفضل منك، إنه يستخدم استعارات ويخلطها بسب مباشر ويعرف كيف يوصل فكرة، يوصل فنا كل فرد يتقبله يفسره كفكرة، ويصير ذلك الفن مصدرا لعديد الأفكار التي تدور في محور واحد حدده هو، الأسطورة، والحياة جميلة، بينما أنت تملك فكرة تكتبها وتحاول فرضها على المتلقي، ومهما جعلتها واضحة مستحيل أن يفهمها الجميع يفهمها بنفس الطريقة.

_أنت ناقدة حقيقية!

_لأن أخي فنان حقيقي.

_حسنًا... لا حجة لي أمامك. لكن الحوار معك ممتع. قولي لي... ما الذي يجعل فتاة في الخامسة عشرة تتمرد على الدولة ؟ لا أعتقد أن هذه الأغنية أثّرت فيك لهذه الدرجة.

_وُلِدتُ حرّة الإرادة، لكنني وجدت نفسي مكبّلة بقيود تافهة لا معنى لها، واكتشفتُ أن التمرّد ضرورة لأعيش حياتي الوحيدة كما أريد، فتمرّدتُ على كل شيء، وكان الأمر أسهل مما توقّعت. أمّا الدولة فهي كيان فاسد يعاقبك لمجرّد وجودك، ويُلزمك بأشياء لا تحتاجها، أو تحتاجها فقط لتتوافق مع الآخرين.

أنا الآن أجرّ قدمي كل يوم نحو الإعدادية لأن والدي يريدان ذلك، حتى أكون مثل الجميع، وحتى لا يُعاقَبا من قبل الدولة لأن التعليم إجباري، ولأواصل استهلاك أجندات الدولة وتعاليمها الفاسقة. إنها برمجة لئيمة تُجرّد الإنسان من إنسانيته.

هل أحتاج إلى هذا؟ نعم. لكن هل طلبته؟ لا. لهذا لست حرة، وإن أطعتُ فلا معنى لحياتي رغم أنني أطيع نسبيا... وكل ذلك بسبب الدولة!

تجربتي تشبه تجربتك مع الوثائق المدنية والتجنيد الإجباري، ولهذا أفهمك من تلك الناحية، وأنا في صفّك، وسبب اختياري دخول هذا المكان كان رغبة في كسر عبارة ممنوع الاجتياز المعلّقة من قبل الدولة على ذلك الحاجز التافه الذي يحيط بالغابة، رغم أن إرتفاعه مجرد متر والتسلق سهل.

_مثير للإهتمام لا تشبهين أخاك أبدا

--

تدخل الكاتب أحدهم قائلا: أرقى المجتمعات الحيوانية كالنمل والنحل تمتلك نظاما أشبه بالدولة، ولعلها ضرورية لتنظيم كائنات وحشية غريزيا عاقلة فطريا، فالعيش دون نظام فوضى عارمة، لكن...

--

_انسي ما قلته عن أخيك، وأعتذر... لقد كنتُ فظًّا. سأساعدك إن استحققتِ المساعدة.

أستطيع التحكم في بعض ثعابين الماء كما تتحكمين في ديناصورك، الحشّاش خصم سهل، لكنني أحتاجه. في فصلي الأخير تحدّثتُ عن تجربتي في الحجز، وعن رغبتي في قتل بعض رجال الشرطة الذين احتككت بهم، ربّما القتل سيكون رحيمًا بهم... لذلك أشتاق أن أرى الحشّاش يمزّق أحشاءهم بوحشية دون أن يقتلهم، أريدهم أن يتعذّبوا أحياء كما عذّبوني ذلك الشهر.

_يا لك من حثالة يبحث عن الحرية ساجنا نفسه في قفص الإنتقام!

_لا خيار لي، لم تعد لي فرصة حياة خارج هذه الغابة، وأيضا احترمي شخصا يكبرك عشرة سنين !

_ضعْ عمرك على كعكة عيد ميلادك... أنت مجرد ساذجٍ أبله!

...

_هذا الرذيم كثيف يخرج من هاتفك نحو أعماق الغابة ! اسمعيني، اجعلي ديناصورك يحملني نحو اتجاه الطاقة.

_ما هو الرذيم ؟

_لا وقت للشرح.

انتهى النفق، ووصل الحشّاش والأسطورة إلى مكان في أعماق الغابة، مساحة مربّعة تستمدّ قواها من رذيم أغنية "يوتوبيا الأسطورة"، أغنية تنتقد تدنّي الأخلاق والقيم الاجتماعية. لكن المكان كان أشبه بملهى ليلي؛ من يدخله مباشرة يصير مخدّرًا وكأنه استهلك كمية اكستا، مع كحول ورقص ومتبرّجات في كل مكان. دخل شهاب، يرقص مطلقًا عنان نفسه الأمارة، وبسبب رذيم الأسطورة اعترف لا إراديًا أنّه كان سيورّط الرابر في تهمة الترويج كما أمره فهمي. وبعد خمس دقائق من الرقص، لم يتحمّل كمية التخدير الرذيمي ومات بجرعة زائدة.

دخل حطاب يوتوبيا الأسطورة...

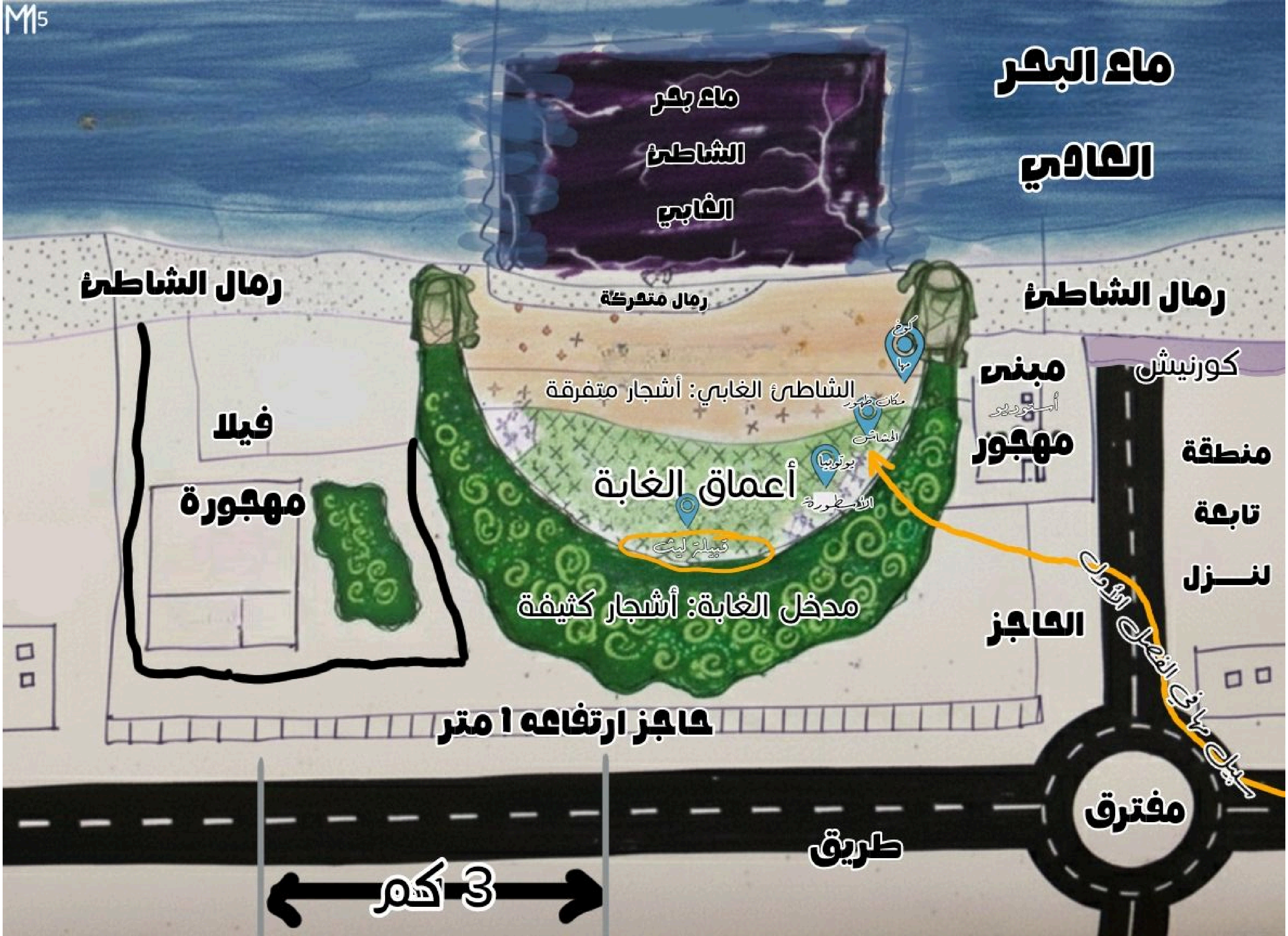
ماء البحر
العادي
ماء بحر
الشاطئ
الغابي
رمال الشاطئ
رمال متحركة
رمال الشاطئ
كورنيش
مبنى
مهجور
منطقة
تابعة
لنـــزل
فيلا
مهجورة
الشاطئ الغابي: أشجار متفرقة
أعماق الغابة
مدخل الغابة: أشجار كثيفة
الحاجز
حاجز ارتفاعه ١ متر
مفترق
طريق
3 كم

المقدمة: جيم بوي ادفانس

"منذ صغري كنت أحب أن أتخيل أحداثًا، وأحد طموحاتي كتابة رواية ضخمة..."

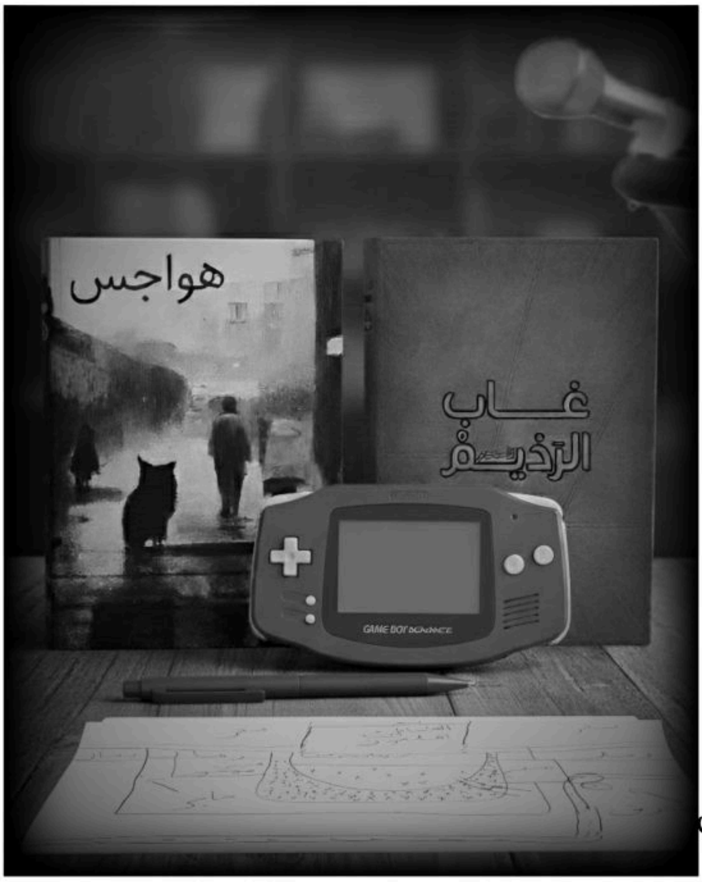

بسم الله الرحمن الرحيم، أتمنى أن يكون عملي هذا أثرًا سمحًا لي، واسترسالًا لمقدمتي في "هواجس". أعتقد أنني بدأت في تحقيق أحد طموحاتي. أنا هاوٍ يكتب شيئًا عظيمًا لأنه يشعر بالملل، لكن عكس "سايتاما"، لن أنضم إلى أي منظمة رسمية.

جاهلٌ يحارب الجهل في عالم لا يحتوي غير الجهلة، بداخلي عديدُ الشخصيات والآراء المتناقضة. هل أنا متناقض؟ هل أعاني انفصام شخصية؟ لا أعتقد... لكن يبدو أن كل شيء في الدنيا عبارة عن مجسمات لا متناهية الأبعاد، وكل إنسان ينظر لها من زاوية، ودائمًا زوايا النظر أكثر من الأبعاد.

تفصيلًا: لدينا المكعب، من المعروف أنه يملك ستة أوجه (أبعاد)، لو ركزت على بعد واحد سترى مجرد مربع، لكن عندما تنظر لثلاثة أبعاد ستدرك كونك أمام مكعب. عندما تدير المكعب بين يديك ستتأكد أنك أمام مكعب، لكن خصمك لم يرَ سوى مربع؛ في هذه الحالة كلكما متساويان، ولن تغلبه إلا لو شرحت له الأمر، وهذا ما يسمى بالحجة. ولو تجاهل الآخر حجتك وواجه بدون حجة فهو متعصب لا داعي للنقاش معه؛ تجاهله أو استمتع بالسخرية منه...

حسنًا، شرح أمر بديهي كهذا يعتبر نوعًا من الاستخفاف بالقارئ، لكن أعتقد أنه من المناسب شرح أبجديات تفكيري في رواية تحمل أفكاري. لكن كما وضحت، أفكاري متناقضة، ولا أريد أن أبرز وجهة نظر واحدة؛ فمثلاً في الفصل الخامس لدينا نقاش نوعًا ما فيه اتفاق على مقت الدولة والنظام، وأفكارهما هي أفكاري، ومع ذلك تدخلتُ كاسرًا الجدار الرابع لأوازن الكفة. طبعًا لن تتوازن فأنا غالبًا في صف مها وحطاب، لكن لا بد أن أكون محايدًا، أو تبًا للحياد، لا بد أن أكون صادقًا مع نفسي.

حتى الآن لدينا: سليم، مها، حطاب، الحشاش، ياسر وغيرهم من الشخصيات التي ما زال بعضها لم يظهر بعد، والتي كل منها تعتبر امتدادًا لشخصيتي. ولا ننسى قصي، كريم، ورأفت وشخصيات "هواجس". دائمًا ما أتصارع مع نفسي، وكل نفس من نفسي مختلفة عن نفسي الأخرى، لذا استمتعوا بأيديولوجياتي المختلفة، لكن هذا لا يعني ضعفًا مني أو ازدواجية في التفكير؛ أحدهم غالبًا يعرف أي شخصية داخله تمثله أكثر في كل موقف. أنا أشبه مها وأشبه حطاب وأشبه سليم وأشبه أي إنسان في هذه الدنيا، كلا، هناك شخصيات لا أشبهها، مثل فهمي، أو أعدائنا الذين يضطهدون إخوتنا المسلمين في فلسطين، الصهاينة الملاعين الدواعر، أو كخلاصة: أكره أي إنسان يتجاوز حدوده مع الآخر بحجة الاعتداء أو السلطة...

ما هو الرذيم ؟

هذا أساس قصتي وفكرتها الأولية. أنا متأثر بالأنمي، و"هاياو ميازاكي" اسم كبير فيه؛ أعماله بهيجة وسعيدة، لكنه كشخص يبدو جديًا كثيرًا. حسنًا لا أريد أن أهتم كثيرًا بالآخرين، لكنني شاهدت "ميمز" يسخرون فيها من كون ميازاكي حزينًا وأعماله بهيجة، بينما المانجاكا "جونجي إيتو" مثلاً يبدو سعيدًا بينما أعماله سوداوية،

وهنا استوحيت فكرة الرذيم: "فنٌ زاهٍ ملوّن يعبر عن ألم وغضب، وجمهورٌ سعيد يرقص جاهلٌ بحقيقة ما يتلقّاه". ماذا لو وراء المادة الفنية التي تستهلكها قصة أخرى؟ رمزية أخرى تناقض محتواها..

سليم رسم الحشاش وتخيله وحشًا ساديًا على شكل أسد، بينما رسمه قطًا، مجرد قط يشبه قطه الميت، وسماه الحشاش على اسم مروّجه شهاب الحشاش. لا داعي لتفهم كل شيء، لكن ما عليك فهمه هو أن الرذيم هو تلك الأفكار التي وضعها الفنان في مادته الفنية لكن الجمهور لم يدركها. صورة اللقلق التي رسمها سليم كان يقصد بها المخلوق الذي طلبت منه أخته رسمه. أحيانًا أشعر أن التعبير المباشر عن فكرة ما أمر ممل، انتقدت هذا في شخصية حطاب الذي يكتب بأسلوب مباشر خالٍ من الرذيم. أريد أن يبذل الجمهور بعض المجهود في فك الرموز وتوقع الروابط، لكن ماذا لو لم يفعل الجمهور هذا ولم يفهم شيئًا أو حلله خطأ؟ هنا توقعت تجسيد تلك الطاقة في مكان مخصص لها: الغابة، التي لطالما كانت قطبًا جاذبًا لهكذا طاقات لكل الفنانين الذين لديهم طاقة الرذيم؛ إنهم قلائل، وبموتهم أو بنسيان الناس لأثرهم يضعف رذيمهم في الغابة.

رذيم سليم هو المحرّك الأساس؛ فقد استيقظ قبل ست سنوات، يوم رسم لوحة الحشاش على الشاطئ. تلك اللوحة كانت الشرارة التي كوّنت الشاطئ الغابي الملعون، وربطته بمعزوفة "الشاطئ" التي تعد مع اللوحة أصل رذيم الحشاش. وفي عقل سليم، لاوعيه ربما، القط وحطاب خصمان غريزيان؛ وبما أن حطاب قتل القط، فلا فرصة للحشاش في ذلك الفضاء الغابي لمواجهته. لكن الحشاش تمرّد على غريزته، واستمد رذائم أخرى غير تلك التي أودعها سليم فيه، ليتمكن من التحرّك قليلًا أمام حطاب ومها. وفي الوقت نفسه، كانت معزوفة الشاطئ، المرتبطة باللوحة التي صنعت الغابة، تُسمَع وتضخّ في المكان رذيمًا أقوى. هذا التمرّد كله انعكس على سليم نفسه، فبدأ يعاني صداعًا هستيريًا حادًا، أشبه بتداخل الأفكار حين ينشغل العقل بمسألة معقدة تتجاوز طاقته على السيطرة.

هذه أول رواية مسترسلة لي، عندي أفكار عديدة لكن لا أريد خلطها ببعضها وإخراج شيء عشوائي تافه. حتى الآن أنا راضٍ عن العمل لكن خائف قليلاً من أن أناقض حبكتي أو عالمي، وتبًا.. عليّ شرح كل تفصيلة كتبتها، وهذا صعب، لكن إن شاء الله سيتم.

سأشرح الآن مصدر شعور الدوار والغثيان الذي شهدته مها: إنه تأثير تجربة المخدرات لأول مرة، شعور يخيّم على الشاطئ الغابي مستمد من رذيم سليم؛ فهذا المدمن صار يعتبر تأثير القنب هو الشعور الطبيعي، والحالة الطبيعية هي الاستثناء.

أما حطاب فهو معتاد عليها فلا يتأثر كما تأثرت مها. أما "يوتوبيا الأسطورة"، فهي امتداد آخر لرذيم الأسطورة القابع في أعماق الغابة. يمكنكم الرجوع للخريطة في الفصل الخامس لفهم موقع كل مكان من عالم الغابة على الخريطة.

ببساطة، الأسطورة رابر متناقض: في أغنيته ينتقد الفساد الأخلاقي، من فاحشة ومنكر ومتعة، ومع ذلك يمارسه، بل يعيش عليه؛ هو يدرك أن فعله باطل، ويريد هداية لكنه غارق في شهواته، عبد لنفسه. إنه نقد مني لسلوك متناقض موجود في أغلب الناس؛ ذلك الشاذ عن المجموعة، الرافض للسائد، الذي لا يعجبه العجب، ملتزم مع العصاة وعاصٍ مع الملتزمين.

أما بالنسبة لشخصياتي البشرية فهي جميعها مسلمة بطبيعتها، باستثناء فهمي الذي لا أعيره اهتمامًا؛ فدين الشخص الذي يتجاوز حدوده مع الآخرين لا يغير شيئًا في دلالة فعله، قد يكون مسلمًا أو غير ذلك، احزروا بأنفسكم. وبخصوص المعاصي التي ترتكبها الشخصيات، فمن البديهي أنها ليست قدوة، يا أطفال لا تفعلوا هذا في البيت :).

لن تجد الشخصيات في الغابة تصلي أو تؤدي واجباتها، وهذا كي لا أخلط مقدساتي بخيالي الرمزي وأكون بهذا معتديًا عليها. وعبارة سليم في الفصل الأول: "مهلًا، هذا الشاطئ ملعون حقًا، لكن هذه غيبيات نوعًا ما، وقوى خارقة لا وجود لها، أيمكن أن أكون برسمي هذا أتجرأ على الله، فهو فقط الخالق ومن يقول للشيء 'كن' فيكون؟" تلخص موقفي من الأمر.

لو لاحظتم، فيوم في الغابة يعادل ستة أيام في العالم الواقعي؛ سأعترف أنه كان "بلوت هول" في البداية لكني رقعت الأمر سريعًا بهذا التبرير، والأحداث في الغابة متسارعة نسبيًا لذا القانون يليق بها.

أعتقد أني شرحت كثيرًا في هذه المقدمة، لكن بما أنها أتت بعد الفصل الخامس لا أعتقد أنني أفسدت الغموض على قارئها.

بخصوص النقد، أحب النقد، لكن عندما يرسم أحدهم شجرة وأنت تريدها نخلة لا يعني أن النخلة خير من الشجرة، عد إلى قاعدة المكعب، ويا أيتها البومة المحنكة، رأيك ليس أساسًا، بل قصتي هي الأساس.

بما أن عملي بدون حقوق نشر وربما يومًا ما يفكرون في اقتباسه لعمل ما، أحب ذلك خاصة لو "مانجا" أو "أنميشن" أو حتى لعبة، أوصي فقط باحترام مقدساتي التي هي أهم أمر. أنا لم أصمم غير شخصية مها لهذا السبب، وفقط :)

الفصل السادس: وثيقة

ركنٌ من الغابةِ ينبض بالحياة، فيه طعامٌ وشرابٌ وطبيعةٌ هادئة، وأكواخٌ متناثرة يسكن كلَّ واحدٍ منها فردٌ من أفراد القبيلة. ليثٌ هو سيّدُ القوم، يسيرهم بقانونه، وهو قمّة الهرم، والمخوَّل وحده بفعل ما يشاء ما دام يؤمّن للقبيلة أسباب البقاء داخل الغابة. رجال القبيلة جميعهم فرسان، يحرسون حدودها من الوحوش، وبما أنّ الوحوش نادراً ما تدخل ذلك الجزء المحميّ، فإن عملهم ينصرف إلى تدوير اقتصاد القبيلة من خلال العمل. أمّا النساء فيعتنين ببيوتهن.

مجتمعٌ صغير يخضع لسلطة ليث، وكل فردٍ فيه ارتضى هذا العقد الاجتماعي، ومن يخالفه فالقصاص جزاؤه.

حُكِمَ على سليم بالسجن سبعة أشهر، عقوبةٌ مخففة بفضل محامٍ صديق لساسي تولّى القضية.

أمضى أيامه يخربش على ورق، ويخضع لجبابرة السجناء الذين جعلوه خادماً لهم من خلال فرض أعمالهم اليومية عليه من تنظيف الأماكن، وغسل الثياب، وجلب الطعام، وتنظيف دورات المياه، وغيره عاجزاً عن الرفض رغم كرهه العميق لوضعه.

وجد في السجن كلّ أنواع المخدرات، يبيعها بعض الحراس للسجناء، لكنه لم يستهلك شيئاً، واكتفى بشراء ما يطلبه منه أسياده الذين يفوقونه حيلة.

كان في داخله ندمٌ خانق واحتقارٌ لذاته، لا يرى نفسه إلا حثالة مريضة تقترب من نهايتها، تعيش آخر أيامها ذليلة، لا معنى من بقائه فقد ورّط أخته، وأحزن أمّه، وجرّ معه مروّجه شهاب الحشّاش. كان يفكر: ماذا لو قدم الحشّاش نفس غرفته ؟ متأكد أنه سيعيش ذروة عذابه، فغضب شهاب مخيف، وهو عنيف منذ صغره، حيث يثبت نفسه في الحي بالاعتداء على الآخرين، وقد سمّى الأسد الذي رسمه على كنيته نسبة إليه.

...

وُلد سليم قبل واحدٍ وعشرين عاماً، أمّه عبير، وأبوه كامل الذي كان، حسب عبير، سكيراً فاشلاً، وهو ذو أملاكٍ كثيرة. عاش سليم أولى سنواته الأربع في منزل أبيه بين عائلته.

كامل لم يكن يعمل، لكنه مات سريعاً بعد سفره بصحبة سليم إلى بلاد عربية، وبقي الطفل غريباً في تلك البلاد بين عائلة رجلٍ اسمه سعيد بن ليث، ليث هو شيخ إستقبلهما صاحب دفاتر مليئة بمؤلفاتٍ لم ينشرها. كان مهووساً بالسلطة ويكتب عنها، يرى نفسه الأجدر بالحكم، ويمقت النظام الملكي الذي يقصي أمثاله، ويحصر المناصب في آل الملك.

مات ليث وكامل بوباءٍ ضرب تلك البلاد وجعلها منغلقة لسنوات، تعلّم خلالها سليم العزف على البيانو في بيت سعيد.

بعد ذلك تزوجت عبير من ساسي وأنجبت مها، وعاشت سنواتٍ متفرقة عن ابنها حتى عاد إليها وهو في الثانية عشرة من عمره، لقد صار غريباً قليل الكلام، لا يخفي قطّ كرهه لساسي، ووضع له بعض المكائد التي لم ينجح معظمها.

في تلك الفترة انعزل سليم في منزل أبيه وتفرغ للعزف، وقرر في يومٍ ما أن يتقبل زوج أمه ويقتل حقده في قلبه، فأصبح فجأة باراً مهذّباً خلوقاً ... وفي ذلك الزمن تعرّف على ابن حيه حطاب الذي يكبره بأربع سنوات، وصار أعزّ أصدقائه.

كان حطّاب يعامل سليم كأخٍ صغيرٍ ضائعٍ يحتاج إلى من يصلحه ويعلمه كيف يكون رجلاً ذا موقفٍ واضح لا يخشى أحداً. أثار فنّ سليم اهتمامه، وما أثاره أكثر هي نسخ من مؤلفات ليث التي كانت في مكتبة كامل.

استلهم حطاب كثيراً من أفكار ليث المناهضة للحكم الملكي، وكما كان ليث يرى نفسه المصلح الذي سيجعل البلاد يوتوبيا يحكمها، كان حطاب يتخيل نفسه المصلح الذي سيحرر عقول الناس من قيود الدولة.

تعلّم سليم أن الصراحة ليست حيلة؛ فهو غالباً غير متأكد من مواقفه، فلماذا يعبّر؟ لو سألته ماذا يعني ساسي له، لقال إنه أبٌ رائع، وفي نفس الوقت وغدٌ سرق منه أمه. أما مها فكانت مدللة والديها، وخصوصاً أخاها الذي كان يعتبرها الجزء النقي من نفسه الذي فقده ... سليم فاشلٌ دراسياً واجتماعياً، يُهزم في أي نقاش، ولا يجد شواهد لحججه، لذا كان يعبر عن أفكاره بالرسم والعزف، درس حتى السنة الأولى ثانوي، ثم أقنعه حطّاب بترك الدراسة، فحطاب ورغم دراسته حتى التخرج كان يرى المدرسة مؤسسة فاسدة تسرق الوقت وتروض الشعب على الطاعة، وتصنع منهم بيادق للدولة ... كان يقول إنه يريد أن يصبح غنياً مثل أثرياء العالم الذين جلهم لم يدرسوا في المدرسة، لكنه أكمل تعليمه بكامل إرادته.

أما سليم، فعندما بلغ الخامسة عشرة علم بإصابته بمرضٍ خطير قد يقتله خلال سنة. لم يمت وقتها ولا بعدها بسنتين ولا بستّ، لكنه خشي هاجس الموت وصنع منه شاباً يائساً بلا هدف، مدمناً على المخدرات.

...

- إذن أنتما عالقان هنا ؟,ظريفٌ أن أجد صوتي في هذا المكان أيضاً, يا ذات الذراع المعصّب، هل تريدين توقيعي؟

- ها قد استنكرت وجود الملاهي الليلية في هذا البيت، كلمات أغنيتك تناقض الوضع الذي وجدتك عليه، ما أمرك هل أنت منافق أم تغني ما يحب جمهورك سماعه ؟

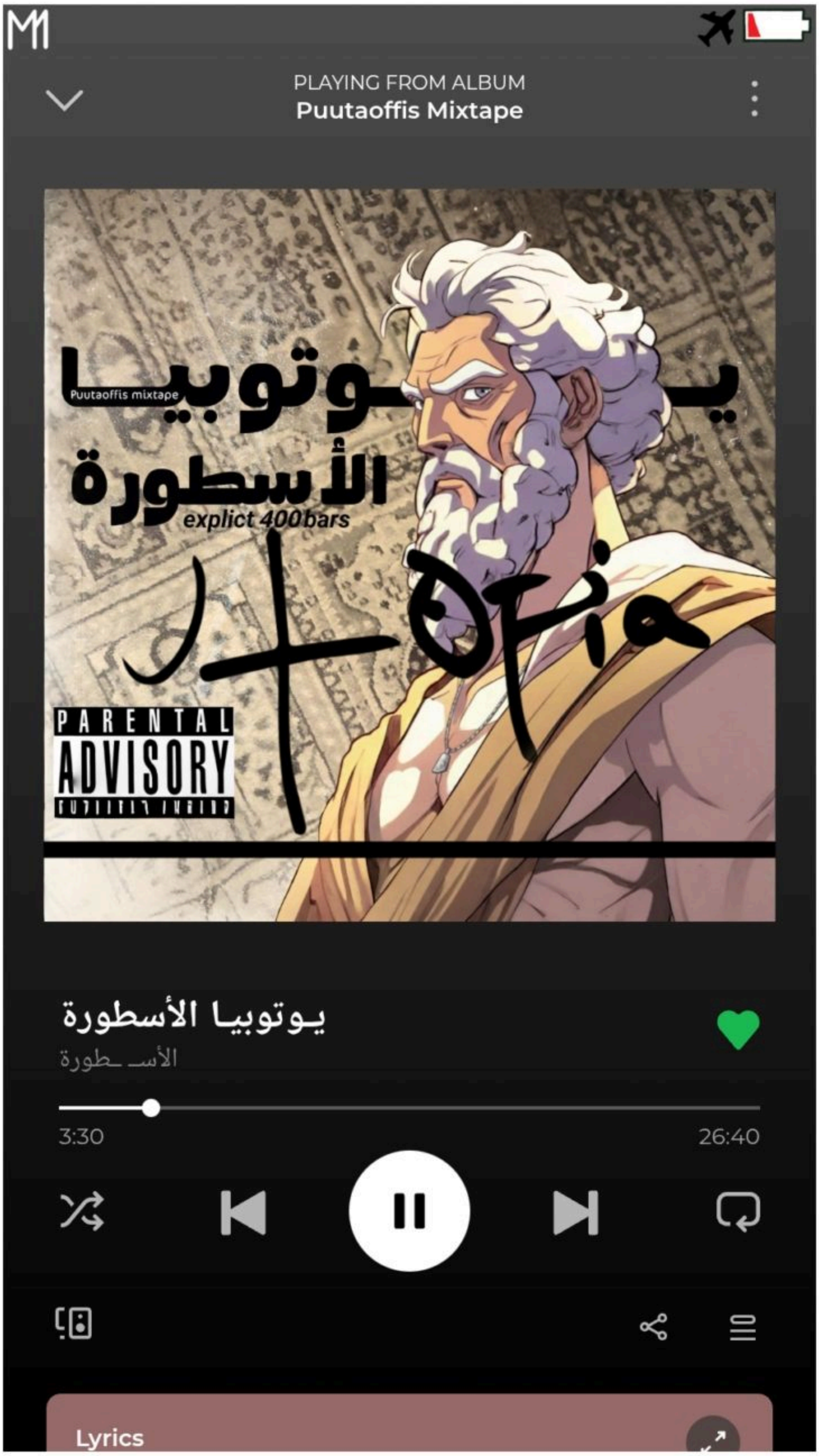

- حقاً؟ ما كتبته في أغنيتي هو اليوتوبيا التي أتمناها: أخلاقٌ ورجولةٌ وسترٌ وضبطٌ للنفس. أما يوتوبيا نفسي الحقيقية... فهي العكس تماماً. لا أجمل من الرقص والمتعة ونسيان المشاكل والدنيا. لعل أغنية يوتوبيا الأسطورة ليست إلا ديس لنفسي، إنه الرذيم يا حطاب!

- كان في حفلتك عدة أشخاص، ما قصتهم ؟

- تلك النساء غير حقيقيات، إنهنّ من وحي رذيمي، أما ذلك الميّت فهو وغدٌ أراد الغدر بي، فمات جزاء لنيته.

- أعرفه، إنه الحشّاش ابن حيي.

- جميل! هل كنت زبوناً له ؟

- لا أستهلك، لكن كنت أجالسه هو وأخ هذه الفتاة سليم.

- لقد ذكر الحشاش هذا الإسم أثناء سبيلنا، يعتقد أنه من أبلغ عنه الشرطة، فأصبح مطلوباً، فهرب إلى هنا. أيتها المعجبة الجميلة ... يبدو أن أخاك في منزل خالته !

- وماذا عنك أيها الأسطورة؟

- أنا دائماً مطلوب بسبب أغانيّ، لكنني كالثعبان، أترك أثري ولا يجدونني وخمن أين أختبئ؟

- إذن فأنت لم تدخل الغابة من حاجز شاطئها، اذن يمكنك الدخول والخروج ؟

- نعم. أتريدان الخروج؟ ادفعا لي. لدي نفقٌ قصير يمتد من منطقة رذيمي إلى الأستوديو الذي أسجل فيه.

- عن نفسي هذا مكاني. مها، بقاؤك هنا لا جدوى منه، عودي لأهلك أفضل لك.

توجه الثلاثة نحو يوتوبيا الأسطورة، لكنهم لم يجدوا مدخل النفق، لقد اختفى ...
تضامن الجمهور مع سليم وطالبوا بإطلاق سراحه ... أما هو، خلف القضبان، فقد بلغ حقده ذروته، رسم رسماً جميلاً بقي يتأمله بضع ساعات، جعل من وحوش الشاطئ الغابي، بقيادة الحشّاش، هائجة تدمر بعضها ... فقدت مها قدرة التحكم بدينصورها، وحطّاب كذلك مع الثعابين، لذا فقد هربا ومعهما الأسطورة إلى أعماق الغابة، فالموت جوعاً أرحم من الموت قتلاً ... وبعدها في السجن، لأول مرة قرر سليم الدفاع عن نفسه، فبرح أحد المساجين ضرباً بكل وحشية، متخيلاً نفسه الحشّاش الذي رسمه، مطلقاً العنان لغضبه ... بسبب هذه الحركة هدأت وحوش الغابة، لكن مها، وحطّاب، والحشّاش وجدوا أنفسهم داخل قبيلة في أعماق الغابة يقودها ليث، وبها الكثير من الناس...

الفصل السابع: جذور

لقد فُجعتُ بكلا ولديَّ، تُرى أي صراعٍ يعتصر قلب سليم؟ لماذا يستهلك هذه السموم؟ أيُّ فراغٍ يسكن روحه؟.. أجبني يا ساسي، إن كان مدمنًا حقًا هل نودعه بعد إطلاق سراحه لمركز علاج؟ لا أريده أن يكون مثل والده!

_أوافقكِ الرأي تماماً.. لقد أرهقتُ كاهله عندما ماتت مها رحمها الله، لعله كان مستاء مني ومن نفسه، سأعتذر منه في الزيارة القادمة.

...

رغم كثرة أفرادها، لا يوجد الكثير من البشر في القبيلة؛ فهم فقط ليث وأخوه ياسر، وخمسة من أتباع ليث الذين كانوا يعظّمونه قبل سبعة عشر عامًا، ولحقوا به إلى غياهب الغابة.

لقد كانوا في الأصل عشرة أشخاص، مات نصفهم بسبب الأدواء التي تفتك بزائري تلك الغابة جرّاء رذائم متراكمة.

وكان من بينهم كامل، والدُ سليم، الذي افتُتن بأطروحات ليث التي وصلت إلى القرّاء بطرق بدائية؛ فقد كان ليث يكتب مؤلفاته في دفاتر عشرات المرّات، ويوزّعها على أفراد اضطهدتهم الدولة، فيرون فيه المعجزة التي ستحقّق التغيير، ويعملون على نسخها بأيديهم.

حصل كامل على كتاباتٍ أصليةٍ لليث، وهو من أشار عليه بتشييد ذلك المجتمع في الغابة، بيد أنّه لم يمت آنذاك، بل استودع ابنه عند سعيد، وعاد سرًّا إلى بلده مع ليث ليدخلا الغابة رفقة باقي الأتباع.

كما فعل الأسطورة في ملهاه، كوّن ليث، برذيمه، أناسًا وهميين ونصب نفسه حاكماً عليها، من بينهم زوجته الأولى التي رُزق منها بابنته أسماء. كما أنجب قبلها ابنين أكبر كانَا مهووسين بالسلطة، فتقاتلا على الحكم، لذلك أعدمهما ليث، ولم تبقَ سوى ابنته.

ثم تزوج من ثلاث نساء أخريات، وأنجب منهن عشرين طفلًا، كي لا يفكروا في السلطة من بعده. ورغم أنه لم يُكمِل ثلاث سنوات في الغابة، فإنه كان يُكوّن أفراده بأعمار مختلفة؛ فابناه اللذان قتلهما كانا توأمين في الثالثة والعشرين من العمر، تمامًا مثل عمره عندما تزوج في العالم الواقعي قبل أن ينجب سعيد بسنة.

وكوّن أيضاً نسخة رذيمية لـ "كامل" بعد موته، وعينه مستشاراً له مع ياسر. أما ياسر الحقيقي، فقد كان مصاباً بذهان مزمن، هربه ليث وكامل من مشفى الأمراض النفسية ليكون معهما.

...

_ابنك يحتاجك يا كامل.

_لا أعتقد أنه سيكترث، كن أنت أباه.

_لِمَ لا تعيده لأمه؟ يجب أن يترعرع وسط أهله.

_أريده أن يكون عظيمًا، شخصًا مُغيّرًا يحفر اسمه في التاريخ، وليس ذليلًا أمام شُقفة خمر مثلي. لا أعتقد أن عبير ستجعل منه رجلاً، غالبًا ستربيه كشخص عادي يدرس ويتزوج ثم يموت

_أريده أن يكون عظيمًا، شخصًا مُغيّرًا يحفر اسمه في التاريخ، وليس ذليلًا أمام شُقفة خمر مثلي. لا أعتقد أن عبير ستجعل منه رجلاً، غالبًا ستربيه كشخص عادي يدرس ويتزوج ثم يموت دون أي تغيير.

_ماذا تريده أن يصنع في حياته؟

_لا أعرف، المهم أن يصل لغايته، وغايته يجب أن تكون السلطة. علّمه العلم والعزف مثلك، ولقّنه التاريخ والثقافات المختلفة، والأهم.. اجعله يطالع كتب أبيك.

_أنت تعرف جيدًا أني لا أهتم لأفكار أبي، إنه لا يقل جنونًا عن عمي ياسر، وما يصنعه ليس إلا مجرد هراء وفساد، وهروبكما الآن نحو المكان الذي تزعمون أنه مثالي خير شاهد.

_لا أعرف كيف ستحصد بذرتي، لكن قم بتربيته كما تشاء لكن احرص أن يكون مسلمًا صالحًا.

_تريده مسلمًا صالحًا ومتقنًا للعزف، أنت تعرف أن المعازف موضع خلاف في ديننا وهناك من يحرّم ومن يحلّل. عن نفسي قد أكون مذنباً لكن الله يعلم نواياي، أما ابنك فقد أصنع فيه تناقضاً وأتحمل ذنبه.

_إذن لقّنه حسب نواياك وهو سيقرر موقفه ويشق طريقه في النهاية؛ فإما أن يكون عظيمًا أو حثالة أسوأ مني. آمل أن يلحق بنا يوماً ويكون فرداً فعالاً في قبيلة ليث.. هيا، اتصل بعبير وأعلمها بخبر موتي.

عاش سليم ثماني سنوات في منزل سعيد الذي لم يقدر أن يكبت رغبته في تعليم الولد العزف على البيانو، كانت زوجة سعيد عاقراً لذا سليم كان ابنهما الوحيد، وكانت البلاد وقتها متدهورة اقتصاديًا ومُنغلِقة بسبب الوباء الذي قتل الكثير من أفرادها منهم زوجة سعيد بعد فترة ومنع السفر. كان سليم يتصل بأمه يوميًا وقد أخفت عنه أمر زواجها. قدم كامل لسعيد مبلغًا قيمًا مقابل تربيته لسليم، وكانت عبير ترسل مصروف ابنها دورياً.

تربى مع سعيد واعتبره أباه رغم علمه أنه ليس والده، وأبرز ما تعلمه منه غير العزف كون الدنيا اختباراً لجزاء أو عقاب، وأن الموت قريب جداً للإنسان تماماً مثل زوجة سعيد التي ماتت بعدما تعلق سليم بها وشعر أنه فقد شيئاً قيماً جداً، لكن لا حيلة له فالدنيا تختبره وهو غصن ناعم عليه أن يبلغ أشده مستعيناً بالصبر وعليه أن ينجز شيئاً عظيماً ينقش به اسماً في الدنيا.

اقترح عليه سعيد أن يصير رئيس دولة راتبه عالٍ جداً لكن الطفل لم يحب الأمر، كان سليم يريد أن يعمل سائق تاكسي، أو نجاراً أو بائع مثلجات على عربة أو خطاطاً أو رساماً، أما العزف فقد كان يعتبره هواية عظيمة، ولا يحب أن يتدنى بمستوى هواية إلى مستوى محترف مهني، أما الرسم فقد تعلمه ذاتياً عندما عاد وطنه وله على الإنترنت مجتمع واسع من المعجبين بعزفه ورسمه.

...

وافقت مها والأسطورة على "العقد الاجتماعي" وصاروا أفرادًا من القبيلة، بينما أبى حطاب وعرض على أحد أتباع ليث نزال فروسية، ونال منه. ليقدم ليث ويتحكم في رذيم المكان ويجعل حطاب أضعف كائنات القبيلة وينال منه:

_أيها العجوز، يبدو أنك صاحب الرذيم هنا وقررت مصيري؟ ما رأيك في نزال في أعماق الغابة خارج القبيلة ؟ ألن يكون عادلاً ؟

_أتقول عادل وقد استجرت بي وطلبت حمايتي؟ أتعض اليد التي امتدت لانتشالك أيها البجح؟ وهل من العدل في شريعتك أن تنازل شيخا يربو عليك عمرا ويضاعفك تجربة؟ كفاك مراوغة، وأفصح الآن.. ماذا تبغي من وراء هذا كله؟

_أريد المغادرة.

_وفدت إلينا لاجئا فآويناك، بيد أن دستوري لا يعرف للضيافة مكانا؛ فإما أن تغدو تابعا لي، والتابع لا يملك من أمره صرفا، وإما هو الإعدام نكالا بك. اختر مصيرك، وفي كلا الحالين، لن تفلت من عقاب يجزيك على صلفك وجرأتك معي.

فكر حطاب وتذكر غايته من دخول الغابة؛ رغبته في الانتقام التي لم يحقق منها إلا جزءاً يسيراً. فقبل أيام، وفي اليوم نفسه الذي دخل فيه الشاطئ الغابي، وصل أحد الشرطيين الذين حققوا معه سابقاً إلى المكان، وشاهد حطاب عذابه على يد "الحشاش". تمنى حطاب أن يتكرر الأمر مع جميع الأعوان، وظل يترقب دخول "فهمي" بيقين حدسي.. لذا، قرر الخضوع لليث.

جُلد مائة جلدة وصار "أول عبد" في القبيلة وخادماً مطيعاً لسيدها. أما مها، فقد صارت معززة مكرمة ومقربة من أسماء وبنات القبيلة، بينما أصبح "جاسر" عضواً في مجلس سيد القوم، إذ نال إعجاب ليث بفصاحته وحكمته.

في تلك الأثناء، كان الحشاش يذيق "فهمي" ألوان العذاب حياً على الشاطئ الغابي.

...

بعد عشر سنوات يقتل رئيس دولة بلاد سليم مسموما.

M1 غاب الرذيم

1-الشاطئ الغابي

أكثر مكان حي في الغابة، تكون جراء رذيم سليم، حيث يعتمد بالكامل على فنه، منذ نشئته من خلال لوحة الشاطئ، إبتلع المكان الكثير من الناس من بينهم، سياح، أطفال وأعوان شرطة.

يقوم الشاطئ الغابي على إختبار حياة زائريه، فهو كما مفهوم الدنيا الذي لقنه سعيد لسليم، الغصن الناعم يدمر بسهولة ولا يستحق الحياة.

3- قبيلة ليث

مصدر الرذيم مجهول حتى الآن ليث معجب بأسطورة العنقاء ويستعمل الطائر في رمزيات في كتاباته.

4- الرذائم المتراكمة

عندما يموت فنان ذو رذيم، يضعف رذيم أعماله في الغابة، ويصيرة رذيما متراكما ليس له قوة كبيرة، تعتمد قوة الذائم المتراكمة على إهتمام الناس بعمل الفنان.

2-يوتوبيا الأسطورة

الراب إيقاع وشعر ويقال: أعذب الشعر أكذبه... ربما

تأمر أغنية "يوتوبيا الأسطورة" بالمعروف وتنهى على المنكر

الفصل الثامن: العنقــاء

كانت مها في التاسعة من عمرها، الحصّة الأخيرة من يومٍ طويل، تفكّر في ركوب صاروخٍ والخروج من درب التبانة بينما تواجه ثقبًا أسود، السبّورة مكتظّة بجملٍ مكرّرة لا تعني لها شيئًا.

كانت المعلّمة تشرح "التربية المدنيّة":

_ المواطن الصالح هو الذي يطيع القوانين ويحترم الدولة.

رفعت مها يدها:

_ وإذا كانت القوانين ظالمة؟

ساد صمتٌ ثقيل. ضحك بعض التلاميذ، وقطّبت المعلّمة حاجبيها:

_ لا يوجد قانون ظالم، يوجد فهم قاصر.

_ لكن أليست القوانين يصنعها بشر؟ والبشر يخطئون، أليس كذلك؟

_ من يسنّون القوانين لا يخطئون.

_ أليسوا بشرًا؟

تغيّر صوت المعلّمة، لا ارتفاعًا بل قسوة.

_ صانع القانون لا يزلّ. نقطةٌ إلى السطر، لا تجادلي في أفكار الكبار بهذه الجرأة!

_ ولماذا ندرسها إذًا؟

اقتربت المعلّمة وضربت الطاولة بيدها.

_ اخرسي... الأطفال لا يناقشون ما لا يفهمون!

لم تفهم مها الكلمة، لكنّها فهمت النبرة. شعرت بشيءٍ ساخن يصعد من صدرها إلى رأسها؛ ليس غضبًا فقط، بل إهانة.

وقفت فجأة:

_ سيدتي، أنتِ تقلّلين مني!.

ضحكت المعلّمة ضحكةً قصيرةً ساخرة، ونظرت إليها بازدراء، كمن يرى جانحًا صغيرًا يتطاول قبل أوانه:

_ اجلسي وإلّا عاقبتكِ بعشرين ضربةً بالعصا.

_ سيّدتي... ما خطبُكِ غاضبةً مني؟

في تلك اللحظة صفعتها المعلّمة.

لم تفكّر مها. ردّت الصفعة بأخرى، بنفس القوّة.

انفجر الصفّ صراخًا.

اضطرّت مها إلى تغيير المدرسة. بعدما تلقّت ضربًا مبرحا من والديها وأُجبرت على الاعتذار من معلمتها.

لكن أحدًا لم يسألها لماذا رفعت يدها أصلًا.

...

قال أحدهم: المعلمة أخت صاحب دار النشر، خالة حطاب، أحب الرابط العجيب :)

_ هل أنتَ راضٍ عمّا قادتك إليه سذاجتك؟

_ ومن يرضى بالضّيم؟ لكنني على الأقلّ كنتُ أكثر منكما شجاعة، وبادرتُ مباشرة إلى رفض الخضوع.

_ نحن لم نخضع، نحن نجونا بحياتنا! العقد الاجتماعيّ لم يكن بهذا السوء، فدستور دولتنا أكثر استفزازاً ونحن نخضع له دونما قبول.

_ أنا فررتُ من العالم واضعاً حياتي على المحك كي لا أنحني، وأعيش برأسٍ مرفوع. فكيف لي أن أقبل الخضوع هنا؟!

_ حسناً، لا تخضع. لكنّك تخدمني أنا والأسطورة رغم أن ثلاثتنا قدمنا معا. وضعُك مثيرٌ للشفقة حقاً. على أيّة حال، أخبرني يا حطّاب، هل هذا المكان مرتبطٌ بأخي؟

_ لم أعد مُتيقناً، لكن عندما نازلتُ ذلك الحارس، شعرتُ بالوهن، كأنّي لم أقضِ ثمانية أشهر أتدرّب وأُقاتل وحوش الشاطئ الغابيّ. لكنّي اندفعتُ وانتصرتُ عليه في البدء، فمستواه كان عادياً، وسرعته لا تُواكبُ حركتي، وسيفه الصدئ لا يُقارن بنصلي المدمّر. لكن عندما حضر ليث، شعرتُ أنّي أزداد ضعفاً، وشعرتُ أنّ رذيمَه يتحكّم بالأفراد. من الواضح أنّه... مهلاً، إنّه هو! أنا أعرفه، لقد قرأتُ عنه من قبل... كتاب العنقاء والغربان.

_ بماذا تهذي؟ أنتَ لم تشرح لي بعد معنى هذا "الرذيم"! لعلّ الغابة أسرت عقلَك وجعلتك تخترعُ مصطلحاً تصدّقه وتهذي به؟ لقد سألتُ سيّد القوم إن كان يعلم شيئاً باسم "الرذيم" فاستنكر، بالرغم من أنّك صرختَ في وجهه بأنّه "صاحب رذيم هذا المكان".

_ لا تظنّيني أحمق! سؤالك هذا يُفصح عن اهتمامك بالأمر، ألم تفهمي معنى الرذيم بعد؟ ألم تكتشفي أنّ معزوفات أخيكِ لم تعد موجودة؟ ألم تلاحظي اختفاء الثعابين وديناصورك، ووجود مخلوقاتٍ أخرى هنا؟ انظري إلى تلك الغربان المُحلّقة! إن كان أخوكِ، كما زعمَ أسطورتك، في السجن، فهو يمرّ بحالة نفسية عنيفة، وهذا ما أثار شاطئه الغابيّ. لكن لا تقلقي، فأخوكِ كتومٌ جبان، ستجدينه الآن يصدح بالغناء مع المساجين في أوج بهجته.

سار حطّاب نحو زاوية في القبيلة، فوجد طائر العنقاء شامخاً يتأمّل المكان كأنّه يحرسه. ثم تقدّم ياسر، الذي كان يتحكّم بالغِربان ويحثّها على الاعتداء على حطّاب، وبعدما نالت من وجهه قليلاً، واجهه المجنون بضحكةٍ مُستفِزّة.

...

بعد أن كشف مدير قسم الشرطة الشخص الذي دبر له المكيدة ليفشل في مهمته ويُسود وجهه أمام الوزير، أوكل إليه مهمة انتحارية؛ تفحص الشاطئ الغابي والبحث عن مها، في محاولة للتخلص منه تحت غطاء قانوني. ولضمان عدم تراجعه، أرسل خلفه زمرة من الزملاء الفاسدين وعصابة شوارع، كان شهاب الحشاش عضوا فيها، ليحاصروه بين فكي الكماشة، الرعب أمامه والغدر خلفه.

في لمحة، تبخرت من ذاكرته صور المواطنين المفقودين، واستبدل هواجس الخوف بيقين أنه سينجو، ويعود بمها

_لقد كانت خرافة حقا ! تلك الفرخة، لا بد وأنها مع حبيبها هنا!

لمح بائعاً متجولاً يجر عربة مثلجات، فصاح به:

— يا ولد! هل لمحت هذه الفتاة في الصورة؟

— كلا

— غريب أمرك! كيف تبيع بضاعتك في مكان مهجور كهذا؟

— لا وجود لأماكن مهجورة؛ فكل بقعة على هذه الأرض موجودة لتاوي مجموعة مخلوقات.

— وتتفلسف أيضاً؟! هل تملك رخصة للإنتصاب هنا؟

— ألم تقل إنه مكان مهجور؟ لا أعتقد أن لدولتك سلطة هنا، أنا لست مواطناً ولا أخضع لأمثالك أيها الحنش.

استشاط فهمي غضباً، فقلب العربة بعنف، وأطبق على الشاب يشبعه ضرباً كما اعتاد أن يفعل مع المعتقلين، ثم سحله نحو المدخل ليزجه في السيارة.

وهناك، تسمرت عيناه عندما رأى حطاب بنفس هيئته عندما قدم إلى منزله قبل أربع سنوات.

ترك الشاب واندفع نحو احطاب بكل ما أوتي من شر، ينهال عليه باللكمات. لم يبدِ الحطاب أي مقاومة، بل كان يتلقى الضربات بجسدٍ صامد يتشوه ببطء دون أن يفقد وعيه أو يئن.

— يا ابن الفاسدة! ما زلت عنيداً كما عهدتك، لكنني لن أدعك تعيش لتواجهني ثانية.. ولن يعلم أحد بموتك هنا!

استل مسدسه وأفرغ رصاصاته في رأس الحطاب. وفي تلك اللحظة، انشق الواقع عن جحيم لا يوصف؛ تحول الحطاب إلى وحش يشبه أسد مرعب، إنه الحشاش، بعينين تفوقان عيني فهمي وحشية وغضباً.

أما بائع المثلجات، فقد انحل جسده إلى أفاعٍ مائية ضخمة قيدت حركة فهمي وشلت أطرافه، بينما شرع الحشاش في تعذيبه بطرق لم يتخيلها المؤلف.

وبعد ساعات من الألم الذي تجاوز حدود الإدراك، قدم البتروسور ونفث صاعقة من البرق اخترقت جسد فهمي، لتخمد أنفاسه الأخيرة.

لقد قرأ حطاب الكثير لليث وهو يدرك أنه اجنبي متمرد في دولة قامعة أكثر من دولته، وأن كتبه كانت مدونة بخط يده في مكتبة والد صديقه سليم، لكنه شعر بالحيرة لأن أسلوب ليث في كتاباته كان مباشراً تمامًا مثله، بينما هو لا يملك رذيما في الغابة.

أمر ليث حطّاباً بأن يسقي مجلسه شراباً، عبر رسالةٍ حملها أحد الغربان المارّة، نفذ حطاب الأمر كرهًا وكان يفكر كيف يستفز سيد القوم رغم أنه يدرك ضعفه، فشعر بذات العجز الذي واجهه عندما احتُجز، وشعر بالجبن واليأس، ليُقارن نفسه بسليم ويجد نفسه أشدّ منه إخفاقاً. رأى أنّ تجربته في الحجز لا تُساوي قيمة حرمان إنسان من سنةٍ من عمره في السجن، فعقوبة سليم كانت أقسى ممّا واجهه. لذا، ازداد حقدُه على ذاته عندما وجدها أفشل من أفشل فاشلٍ يعرفه. فأذل الفاشلين الذين يعرفهم، يعمل في مطعم ويسترزق ويمارس هوايته ويعيش بأسلوبه، على عكسه هو، أصم أبكم هارب إلى مكانٍ مشؤوم ويعمل فيه كغُلام.

وبينما يوزع الشراب على مجلس ليث وجد وجهًا يبدو مألوفًا، كان سيد القوم يناديه بـ "كامل"! ذُهل حطاب وانعزل يربط مكتسباته لتقترب عليه أسماء وتقدم له بعض الحلوى، ثم يعرف أنها إبنة ليث فيستفزها إنتقاما ويتشاجران.

الفصل التاسع: برتقالي

"مات الضرغام العظيم الذي ساد الغابة لردح من الزمن، واعتلى شبله العرش من بعده. لم يكن الشبل يمتلك مهابة أبيه في البداية، لكنه استعار حضور السلطة بعد يومين فحسب من جلوسه على العرش.

لم يكن في الغابة أسد سواه؛ فقد أباد أبوه الضرغام كل الذكور، ولم يترك خلفه إلا اللبوات لضمان الانفراد بالحكم.

كان قانون الغابة يقضي بأن يقدم كل حيوان وجبته اليومية للسلطة، ثمناً لبقائه تحت حماية العرين. ومن بين هؤلاء، حلزون يقبع في قوقعته، يدفع بانتظام حبة كالسيوم؛ لا رغبة بل رهبة، إذ كانت تحرسه بزاقة تهدده بالوشاية لدى حرباء تجمعهما مصلحة مشتركة مع الأسد.
كلما خرج الشبل، احتفت به الجموع في مسيرات تمجيد، تتعالى فيها الهتافات:
"عاش الملك! عاش الملك!"

وفي الحقيقة، لم تكن الرعية تجتمع بتمامها؛ فقد كان الغربان يغيبون عن المشهد غالباً، أما ثلثا الصارخين فكانوا من الحشرات الضئيلة التي لا يلقي لها الأسد بالاً، ولا يدرك حتى وجودها.

كان الأسد مقتنعاً بأن جنسه هو الأجدر بحكم الكائنات، بينما كان ثمة مجتمع من النمل تحت مخالبه مباشرة، يعيش في سلام تام وبنظام بديع.. بمعزل عنه وعن سطوته.

وبعد آلاف السنين من حكم الأسود، قدمت "عنقاء" إلى الغابة، وأعلنت عصيانها بكل ثقة وعنفوان. ارتعد الأسد وشعر بالوهن أمام هيبتها، غير أن المفارقة كانت في قطيع الحيوانات؛ إذ تجمهروا ضدها وتعاونوا على إحراقها. حتى الفراشة الرقيقة، لقت حتفها وهي تحمل وقوداً للنار!
وبعدما تفحمت العنقاء، عادت من رمادها مجدداً، ومضت في طريقها نحو العرش، وقالت بلهجة الحكيم:
"كل مجتمع حيواني نسيجٌ وحده، فليعين كل صنفٍ حاكماً من جنسه."

وحين بسطت جناحيها لتغادر، انقلبت الجماهير في لحظة، وصار الجميع يهتفون باسمها مطالبين بأن تكون هي الحاكمة، وانضم الشبل نفسه إلى القطيع الصارخ. لكن العنقاء محض أسطورة؛ تلاشت في الأفق بينما كان الشبل يرتد إلى غريزته، ويفترس غزالة في الخفاء.
كان الجميع يعلم بأمر الغزالة، لكن لم يجرؤ مخلوق على النطق بالحقيقة أو كشف التناقض الصارخ لحاكمهم، رغم وعوده المتكررة بتأمين حياة الجميع. وهكذا استمرت الغابة في صمتها المطبق..."

_ غريب أن يكون اسمه ليث ويصور الأسود بهذه الطريقة!، سليم، أباك يملك كنوزاً حقاً.

_ كيف فهمت ذلك الخط المروع؟ إنه يرسم الراء والزاي بالشكل نفسه، والدال والذال أيضا.

_ لا تملك معلومات عن تاريخ لغتك أيضاً! اهتمامات والدك رائعة حقاً.

_ تقول أمي إن اهتمامه بالخصومات على الجعة كان أعمق.

_ سامحه الله، أتعلم؟ سأقتبس محتوى كتاب "العنقاء والغربان" هذا في كتابي الذي أؤلفه حالياً "حطاب يثبت ذاته".

_ سنقر لا تسرق!

_ ههه، حقاً لو سرقت محتواه ونسبته لنفسي سأكسب شرفاً عظيماً، إنه بارع في القصص الرمزية، ترى ما لغز هذا الكاتب ليث؟

استعار حطاب كتاب "العنقاء والغربان"، وبينما كان يقلب صفحاته وجد وثيقة بخط كامل تشرح أمر الرذائم المتراكمة في الغابة.

بعد أيام، وبتأثير من ابنته، عفا ليث عن حطاب، وصار عِوضَ الخادم فلاحاً في حديقة في القبيلة. هناك كان يلتقي أسماء التي كانت تعتني بنباتات لها، كانت أسماء وقتها في مزاج جيد، وبعد أن دردش معها قليلاً بدأ يحب وقته معها، وقد تفاجأ عندما وجد نفسه يمدحها في كلامه، فقد قال لها مرة: «أنتِ بريئة»، وأخرى: «أنتِ لطيفة»، رغم أن التغزل ليس من شيمه. في العمل، وجد حطاب نفسه ينتظر الوقت الذي تأتي فيه البنت لتؤنسه ويدردش معها حول الأشجار، وأحياناً يتجادلان عن مسألة تافهة بكل ما أوتيا من حجج وشواهد. معها تناسى أن العالم أوسع من مجرد قبيلة في غابة، تناسى فهمي، تناسى الدولة، ومن الانتقام تحولت غايته إلى تأسيس أسرة معها، وأن يقول لها كل ما يفكر فيه وهي كذلك؛ لقد أحب وجودها أكثر من أي شيء آخر، وصار يكره أنه واجه سيد القوم.

قرر بعدها أن يعترف لها، فابتسامتها صارت لا تفارق مخيلته، وعندما تقدم لها وقال لها كلماته القليلة التي تدرب عليها، اعتذرت منه واعترفت أنها ليست إنسانة، بل تكوين رذيم، أو في الحقيقة لم تقل كلمة، بل هو بذاته غير متأكد إذا كانت قد سمعت تقدمه لها أم لا. حطاب أدرك هذا بعد مدة من محاولاته نسيانها، وعندما عاد لوحدته وتذكر مبادئه، وقتها فكر في الانقلاب على ليث، لكنه يبقى أبا أسماء التي ما زال يحبها حتى وإن كانت مجرد فكرة مزينة من تفكير ليث؛ ولو فعل فستغضب أو تختفي أكثر كما اختفت منذ أن اعترف لها، والمرة الوحيدة التي تكلما بعدها حين ذهب لزاويتها في الحديقة وسألها: "هل سقيتِ هذه الشجرة؟"، فأجابت بنفس الود والابتسامة المعتادة.

"نختتم نشرة أنبائنا بخبر مشرف لبلادنا، حيث استشهد عون الشرطة، فهمي بن علان بعدما خاطر بحياته وحيدا لينقذ طفلة في الخامسة عشر من عمرها دخلت الغابة، وها قد مر شهر ولم يخرج منها بعد، نقدم الكلمة لرئيس قسم الشرطة:

_لقد كان مثالا حقا، عندما رأى حزن عائلتها بقي يزن علي أن أجهز فرقة وندخل الغابة، لقد ذكرته كم من زميل فقدناه في المهمات السابقة لكنه كان مندفعا...

كان ساسي يشاهد نشرة الأخبار، حزينا لفتح جرحه مجددا وسعيد أن ليس فقط ابنته من فقدت هناك، ثم استغرب، ففهمي في الفصل الثاني لم يكن متأثرا كما ذكر رئيس قسم الشرطة.

...

اختطفت العصابة التي كان الحشاش منها أخ جاسر الأسطورة الذي يبلغ من العمر تسع سنوات، وألقوا به في الشاطئ الغابي...

...

_ يا سيد القوم!

_ هلم يا حطاب.

_ اريد أن أسألك عن دور العنقاء في هذا المكان ؟

_ ألهذا الشأنِ وطأتَ بساطَ مجلسي؟ قد كانَ في وسعِكَ أن تستبينَ الخبرَ من أيٍّ منا.

_ وهل أنا فرد منكم ؟

_ أجل، بيدَ أنَّ منزلتَك فينا أدنى مما تظن، وأنتَ بمُوجبِ السببِ عليم. وما كانَ رفعُ شأنِكَ إلا استجابةً لرجاءِ ابنتي الكبرى، التي تأبى مروءتُها أن ترى بيننا امرأً يرسفُ في أغلالِ الذل.

_ ماذا عن مها وجاسر ؟

_ عليك بنفسِكَ أيُّها الصَّفيق، ومع ذلك سأُلقِمُكَ الجواب؛ ذاك الشاعرُ أُوتِيَ حظاً وافراً من الحكمةِ، ورأيتُ منه ولاء محضاً، فهو الأحقُّ بمقاليدِ الأمرِ من بعدي. أما مَها، فاللهُ شهيدٌ أني أنزلتُها منزلة ابنتي.

_و..

_رُويدَك.. لا تقاطعني! أما أنتَ، فإني ألمحُ في محاجرِ عينيكَ ضغينةً تواريها، وما أنتَ إلا نذيرُ شؤمٍ يتهدَّدُ أمنَ القبيلةِ؛ ولكن.. أخبرني، ماذا عساكَ أن تبلغَ في منتهاك ؟

_لن أحمل الوقود كي أحرق العنقاء، لكني حلزون تهششت صدفته إحتاج مخلب الأسد مرة ليحتمي به فوجد نفسه مجبورا أن يدفع وجبته له يوميا حتى مماته...

_ لقد استقامَ لسانُك وعلت بَلاغتُك؛ فمِن أيِّ مَعينٍ استقيتَ هذه الرمزية ؟

_أولا، جمالية الكلام لا تعكس حسن نية قائله، وعن الرمزية فقد وجدتها في كتاب لمؤلف لطالما دغدغني الفضول لأعرفه وللأسف عرفته.

_إذن فقد تقصّيتَ آثاري فيما سلف، وذلك مَسعَى تُحمدُ عليه، ولكن.. أحقاً ترضى لنفسك أن تدنو إلى مَنزلةِ 'الحلزون' وتتقمصَ شأنَه، وقد كان دورُه ضئيلا في رمزية العنقاء خاصتي ؟

_الحلزون بسيط حقا، لكنه أكثر حرية وسلاما من الأسد، ولا يحتاج غير صدفته التي ولدت معه ليعيش، عكس البزاقة التي لا تعرف الصدفة، والصدفة أفسرها على أنها الحرية.

_إنّ الحرية بغيرِ قائدٍ فوضى وعبث، وحياةُ الأنامِ دونَ ساسةٍ هلكةٌ لا مِراء فيها. ومع ذلك، فقد استهوتني رؤيتُك رغمَ ما شابَها من قلةِ احترامٍ؛ بيدَ أني سأؤدبُك، ولِما التمستُه فيك من حصافةٍ، جعلتُ لك مَقعداً في مجلسي كلما التأمَ الشملُ. أما عن العنقاء، فهي رَمزُ بقاءِ قومي وعنوانُ عزّنا، وحينَ يرتدُّ طرفي إليها، يثقُلُ كاهلي بعظيمِ الأمانةِ تجاهكم أجمعين.

_ لكني أشك في أمرٍ في هذا المكان.

_ وما هو ؟

_ جاسر، له ملهى ليلي في ركن من الغابة، يحتوي عديد الحثالة يمارسون فحشهم، لكنهم كانوا مجرد طاقة يشكلها هو ويتحكم فيهم، وأشك، بل متأكد أن أغلب سكان قبيلتك سراب اخترعته.

_ أنت فطن.. بل أنت أدهى مما ظننت، وإني لفي حيرة من إعجابي ببيانك! لكن ارعَوِ.. فوالله لئن تسرب حرف مما دار بيننا إلى مسامع الملأ، لتكونن هلكتك بين مخالب العنقاء. أما ذاك الشاعر، فويل له مما كتم؛ فقد زعم أنه ضال غريب، وما كانت مزاعمه إلا خديعة.. خديعة فطنت إليها بلمح البصر!

_أزيدك من الشعر بيت، تلك الطفلة هي أخت ابن مستشارك كامل، لكن ذلك ليس كامل، لأكون صريحا لقد صدقت في البداية، لكنه مجرد نسخة منك، ولا يمكن أن تمضي كل هذه المدة ولم أره يسكر قط، لا يوجد خمر في قبيلتك، لكن حسب معلوماتي المتواضعة كامل لا يمكنه أن يبقى ساعات دون كحول.

لقد كشفت لعبتك منذ أن نازلت فارسك، وهو أيضا سراب لك، رذيم لك.

حلقت الغربان بأمر من ليث وهمست لجماعة في القبيلة، دخلوا كوخ سيد القوم دون إذن، وتنفيذا لأمره ربطوا الحبل في عنق حطاب لإعدامه، نال الحطاب منهم بسهولة وهو يحملق في وجه ليث بنظرة إنتصار، كان ليث مرتبكا في ذروة خوفه، لتدخل العنقاء الشامخة الكوخ وتجلس في عرش ليث، ثم تمسح ذاكرتهما حول ما حدث. وكل ما يعرفه حطاب، أنه دخل قبيلة وصار تابعا لها غصبا، وهو الآن فلاح يخضع لسيد القوم، شعر بضيق لهذا وحملق في وجه ليث بنظرة تحدي وغضب.

...

بعد عشر سنوات، وبعد موت الرئيس، ترشح حفيد ياسر للإنتخابات.

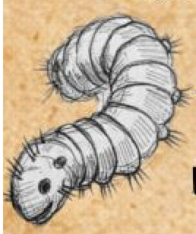

أما بعد فإن الوجود أشبه بغابة يحار أحد بمعرفة شعبها في غياهب ليل بهيم لا يهتدى عتمته إلا طلعة عنقاء باهرة الحسن ترفرف بجناحيها أمام ركبان تلك الشعبة التي حوت من كل روحه أنس وإن تلك العنقاء لهي عين الحكمة وجوهر الوقار العظيمان اللذان ضل عنهما سبيلا ملكنا ماجد السادس عشر فبات يملكه من تيه الغواية وإني إذ أخط هذه السطور لأبرأ بذاتي أمام كل من عرفني من نكث عن الحق الذي أصبو إليه والذي أودعت فكرة في طيات هذا السفر لتكون كتاب العنقاء والغربان دستورا أوليا لمجتمع قويم لا يستقيم أوده إلا بالنزول على حكم رجل ليس إشارة المرء طوعا لنعود زورق حياته نحو ضياء النفس إذ أحوال الاجتماع الإنساني لا يستقيم إلا بوازع يدفع عنها التظالم وقانون يحفظ عليه نظام العمران وأنا لما رأينا مآل الأمر في عصرنا وما لحق بالملك ماجد السادس عشر من خلل في تدبير الرعية وافتقار لشروط الوقار والحكمة التي هي عماد التيجان جعلنا هذا السفر دستورا أوليا ومنهاجا سويا لمجتمع منضبط بقواعد الحق فيا أيها القارئ الكريم اعلم أن هنا الحاكم الذي استطلع نفسه بنفسه إيمانا [illegible] فقهت مقاصد هذه وأدركت مراميه لأسلمت قيادك لا [illegible] رغبة فاطمة ونفسي بما أقول رهينة فوالله لو وجدت في ولدي خروجا مقتضى دستور العنقاء أو ميلا عن نهجه لكان دينه علي أشفق من جلوسه على عرش مجلس

مقدمة كتاب "العنقاء والغربان"

الفصل العاشر: بائع الفحم

عندما كنت في السادسة من عمري، كنت أسمع بائع الفحم يمر بحينا، ينادي على سلعته.. لم أكن أسمع إلا: "حاش - حاشحوش - شْحي".

عرضتُ ما أسمعه على البالغين، فأجابوني بأنني على خطأ، وأن الرجل يصرخ: "فحم.. فحم!". لم أصدقهم، فقد كان يمر يومياً ولا أسمع غير تلك الهمهمات. كانت خالتي توافقني الرأي، وأخبرتني أن العبارة التي أسمعها تماثل تماماً هتاف البائع.

فكرتُ حينها: ماذا لو كان الراشدون بإمكانهم إدراك ما أدرك، أو معرفة ما يدور في خلدي؟ كان الأمر سيكون محرجاً لو عرفوا فضولي البريء حول أشياء لم يعلموني إياها، ككيفية مجيئي للحياة مثلاً. لكنني سرعان ما عدلتُ عن رأيي؛ لأنني وجدته غير عادل، فكيف لهم أن يدركوا ما أدرك وأنا لا أدرك ما يدركونه؟

تخلصت من نظرية المؤامرة هذه، لتأتيني فكرة أكثر غرابة: ماذا لو كان أهلي وأصحابي وكل من أراهم مجرد بوتات تعمل لخدمتي؟ لكنني كنت أسمع أمي وجدتي في الصالة تتحدثان عن جارة لا أعرفها، إذن فأنا لست محور الكون.

يا سيد القوم، ماذا ترى في ذكرياتي هذه ؟

_ إنّما هو فضولٌ فطريٌّ استوطن أفئدة الجميع؛ فأين تكمنُ الحكمةُ في طيات حكايتك هذه؟

_ لقد كانت المسألة هي الأساس للشعر الذي ألقيته عليك في يومي الأول، وأثنيتَ عليّ حينها ووصفْتني بالحكيم.

_ بيدَ أني لم أتأوّله على ذاك النحو؛ ألم يكن فحوى حديثه يشي بالمكرِ والخديعة؟

_ وهنا علينا أن نتأمل جيداً..

_ أنبئني يا جاسر، ما خبرُك؟ وما الذي أوردَكَ مَهالِك الغابة؟

_ أنا مغني راب كما قلت لك، تهتُ في الغابة حتى التقيتُ بمها وحطاب على شاطئها، ثم هاجمتنا وحوش فهربنا إلى هنا، وبفضلكم نحن على قيد الحياة.

_ مغني راب! لا أعتقد، فهم ليسوا إلا فئةً ضلّت مسار الجمال لتروّج للمنكر من القول؛ فما نتاجهم ما هو إلا استثمارٌ تجاريٌّ خبيث يستدرج الناشئة نحو الموبقات.

_ إذن ها قد أعجبك شعري قبل أسبوع! لقد كان في الأصل أغنية راب، الفرق الوحيد أنني غيرت اللحن ليشبه المعلقات الجاهلية وألقيته دون موسيقى. والراب كأي فن آخر، فيه المنتج الصادق الذي يوصل فكرة، وهناك من يصنعه كمهنة يغني فيها ما يطلبه المستمع ليجني مالاً أكثر. هناك رابر آخر أنازله في بيف، والبيف يا سيد القوم مثل نزال الشعر، هذا الرجل يفوقني شعبية، ويسب دولتنا الجائرة، ليس لأنه متمرد أو يأبى الظلم، بل لأن الدولة لا تعترف به كفنان ولا تستضيفه في مهرجاناتها.

بأي حق يطلب من غريمه أن يعترف به وهو يدعي التمرد والاستغناء عن هذا الكيان؟ أغلب هؤلاء المغنين يتحججون بظروف مغني الراب في أمريكا؛ إنهم فشلة لم يجدوا عملاً فأتقنوا تركيب جمل مقفاة، وأشك أصلاً في أنهم هم من يكتبونها.

_ علامَ تعيشُ إذن؟ اذا كنت لا تبذلُ صوتَكَ في المَحاشد الرسمية، ولا تجعلُ مآربَ المال فوق مقاصدِ فكرك.

_ صراعي مع الدولة طويل، لقد تعلمتُ كتابة الكلام المقفى في الإصلاحية التي دخلتها بسبب شجار مع وشّام. لقد رسم اسم أمي على ظهري بطريقة خاطئة فرفضتُ الدفع له وضربته.

ولأكون صادقاً معك، هذا أكثر القرارات التي ندمت عليها؛ فقد خربتُ ظهري بخربشات لم يعد الكثير منها يمثلني، مثل توقيع زوجتي التي غدرت بي وهذه العبارة التافهة، كنت أعتقد أنه فن، لكنه ليس كذلك وإن كان فلنعتبر أي أذى للجسم يحمل في طياته فكرة فنا...

ازالة الوشم أعسر من رسمه، صرت عندما أرى ظهراً عارياً ونظيفاً أشعر بالضيق والنقص، وحتى صلاتي أشعر أنها غير مقبولة بسبب ما اقترفته.

بسبب أغنية في ألبومي الأول دخلت السجن وزادت نقمتي، ثم خرجتُ وعدتُ بسرعة، ومع كل حبس كانت شعبيتي تزداد خلف القضبان وخارجها. بعدها صرت أحيي حفلات في مقاهٍ شعبية، داهمتنا الشرطة مراراً وكان جمهوري يرميهم بالشعلات، لكنهم اصطادوني مرة وأمضيت سنة كاملة. ثم خرجتُ واستدعوني لمهرجاناتهم، وأغراني الاتفاق، وعندما صعدتُ المنصة لأغني في ذلك الصيف، أُلقي القبض عليّ بتهمة... بتهمة التمرد.

_ "ولماذا أنت متمرد؟"

...

بعد نقاش طويل بينه وبين "ليث"، خرج من الكوخ ليجد أمامه "مها"

_ سمعتُ ما قلته للشيخ

_ وماذا بعد؟

_ ألم تكذب أو تلحن الأحداث قليلاً؟

_ نعم، كنتُ مضطراً للكذب في تفاصيل أمر لقائي بك وبالآخر.

_ وسجنك الأخير لم يكن بسبب التمرد؛ البلاد كلها تعرف أنهم ألقوا القبض عليك بتهمة الاتجار بالمخدرات.

_ حسناً، كنتُ كذلك وتبت، تبتُ لله وليس لعباده، ولا أريد تذكر ذلك الماضي. بالكاد أقنعت نفسي أنني سُجنت سبع سنوات بسبب التمرد. الآن، هل ستنقلين الأمر لليث؟

_ كنتُ فقط أرضي فضولي، والوشاية ليست من شيمي، خذ هذه الرسالة واقرأها جيداً.

_ إنها باليابانية الروماجية، ما مصدرها؟

_ أعرف أنك درستها ذاتياً واستعملتها في بانشلاينز، لذا غالباً ستفهمها.

ذهب "الأسطورة" إلى كوخه وقرأ الرسالة التي كان محتواها:

«ليث يستعمل الغربان ليعرف كل صغيرة وكبيرة في القبيلة، أنا متأكدة من هذا، إنها تراقبنا. في أسقف الأكواخ توجد رؤوس مثل كاميرات المراقبة، لذا استعملتُ تطبيقاً يعمل بدون شبكة في هاتفي لترجمة الكلام؛ فقد جربتُ شتمه باليابانية ولم يهتم، لذا فهو لا يتقنها.

لا تنظر مباشرة لرأس الغراب في كوخك كي لا يشك، وتظاهر بأن هذه رسالة من معجبة وسأتظاهر أنني معجبة بك، أدعوك للهرب بعد أسبوع؛ فأسفل طائر العنقاء يوجد ممر يؤدي إلى مدخل الغابة يمكّننا من الفرار من هذا المجتمع المتخلف. غالباً ستجد ياسر هناك، لذا يجب أن نشغله بشيء كي يغيب، وهذا أصعب شيء مع ذلك المجنون، لقد دمر وجه حطاب، قد تكون العنقاء حارسة للمدخل وستنقض علينا لو حاولنا الفرار، لكنها لا تغادر مكانها، لذا علينا إما المخاطرة أو انتظار خلوّ مكانها.

إذا وافقت على الهروب، فتمتم أمامي بلحن أغنيتك يوتوبيا الأسطورة. وبخصوص ثالثنا، فلا أعرف إن كان يجدر بنا إشراكه أم لا، فهو ساذج قد يفسد الأمر ويجلب هلاكنا»

...

بينما كان حطاب يواجه ليث، كانت مها مع أسماء في الحديقة، والأسطورة بجانب طائر العنقاء بينما ياسر كان غائب، وبمجرد أن طارت العنقاء إلى كوخ سيد القوم، هرب جاسر دون تفكير. قابل في المدخل وحوشاً واعتراه شعور غريبة، لكنه استطاع النجاة. تسلق الحاجز ووصل إلى المبنى المهجور بجانب الغابة، الذي كان الأستوديو المؤدي إلى مكان رذيمه.

لم يجد مدخل النفق، ففتح حاسوبه ليجد قناته ومصادر أغانيه الأصلية قد حُذفت. ومن تعليقات معجبيه، أدرك أنها حُذفت في اليوم الذي ذهب فيه مع "الحشاش" إلى الغابة، وأغلي الظن أنه فعل الرابر الذي يتنازل معه أو أحد معجبيه.

بقيت أغنيته على الإنترنت من مصادر غير رسمية، وبقي ملهاه في أعماق الغابة، لكن النفق اختفى، ولم يعد لجاسر أي تحكم في رذيمه.

ثم وجد رسالة والدته تخبره فيها باختفاء أخيه، فتوجه مباشرة نحو الشاطئ الغابي.

...

مات الطفل خوفا بمجرد إدراكه للحشاش، لكن الوحش لم يكتفي بذلك وتلذذ بفرم جثته تعويضا لعدم مقدرته على تعذيبه، ليدخل عليه الأسطورة ويرى المشهد، فيغضب ويهاجم بكل ما أوتي من قوة، لكن مصيره أمام الحشاش كمصير فهمي.

ملاحظة المؤلف: وأخيرا إرتحت من احدى الشخصيات الرئيسية.

...

بعد عشر سنوات فاز ماهر حفيد ياسر في الإنتخابات بعدما زور ببعض الوثائق كي يتمكن من حق الترشح، فلا يحق لصاحب جنسيتين عمره أصغر من أربعين عاما في التقدم.

بدأ في تحسين الحال وتوفير حريات أوسع للشعب كما حدد سلطة البوليس وجعل للمواطن سلطة عليه.

بعدما تم تشخيص مرض ياسر، تخلت عنه ابنته الوحيدة وتزوجت رجلا من بلاد سليم، واستقرت هناك وأنجبت ماهر، أقاموا بعض السنوات في فيلا حذو الغابة ثم رحلوا، وكان ذلك المنزل يحتوي جزءا من الغابة، وتجسيد لرذيم مجهول.

مـــــانــيــفــســتــو

في طفولتها، فكرت مها:

كانت مركبة أستيكا تطفو في الفضاء الكوني، وما إن دخلت مجرة درب التبانة حتى تراءت أمامها بارجة مونبلون.

كانت مركبة مونبلون تشبه قارة أرضية من معدنٍ مجهولٍ لدى البشر، تنفثُ نيران المادة المضادة وتخلفُ وراءها ندوباً في سكون الفراغ. أما مونبلون نفسه، سيد مجرة "فريجيدار" وما وراءها، فهو الكائن الذي يقيسُ عظمته بعدد الكواكب التي غزاها.

توقفت المركبتان وخرج المخلوقان يتواصلان بطريقة لا يقدر الإنسان على فهمها:

— أستيكا .. أيها الكائن الممل، ما زلت تطوف حول هذه المجرات الفارغة باحثا عن حكمة أخرى وسط الغبار؟

— أنا أفهم غريزتك، لذا لن ألومك كما تلومني.

— انظر ماذا وجدت، إنه حطام بدائي وجدته يطفو في الفراغ، فككتُ شفرته بجهازي الجبار الذي أهديتَه لي؛ إنه يحوي أصواتاً مثيرة للاهتمام، وصوراً لكائنات هشة تصنع الكثير مقارنة بحجمها، وخرائط لكوكبٍ يُسمى الأرض. كنت أبحث عن هذا الكوكب ولم أجد شيئاً! يبدو أنها خدعة من إمبراطورية كونية عظيمة تهددنا، لذا لو وجدت فيها الخطر فأدعوك لتنبيهي مقابل بعض نجوم مجرتي.

ابتسم أستيكا بداخله، فهو يعرف لماذا لم يجد مونبلون الأرض؛ فشعب مونبلون، برغم قوتهم التدميرية، لا يقدرون على إدراك الأرض ونظامها الشمسي؛ إنهم كمن يبحث عن نغمة موسيقية باستخدام مطرقة.

— هاتها فأنا أحب تجميع الخردة.

— لتكن لك .. لو مهتم بمعدنها فهو ملقى في كل مكان في كوكب فارغ لي، لو تحتاجه لطاقة معينة فكل الذهب هناك لك، وعن نسختها الأصلية فهي وسط تلك الخردة المعدنية، المهم انبهني عند الخطر، سأغادر هذه المجرة فهي تخلو من الحياة أو الكنوز، حتى الاستقرار فيها لا يناسب شعبي.

— قلت لك مراراً إنه لا يوجد كوكب أو بقعة في هذا الكون، مهما كانت صغيرة، تخلو من الحياة، خلق الله متنوع وكثير.

— كل كائن لا يدركه مونبلون العظيم! فهو حشرة ضئيلة لا تستحق البقاء!

— ماذا لو كان ما تدركه يفوقك عظمة ؟، وعن الحشرات، هل أنت خالقها لتحكم على بقائها؟
— أستغفر الله.

عاد أستيكا إلى كويكبه، كوكب "ثاء 616" الهادئ، الذي يضم كنوزاً طبيعية نادرة.
في هذا الكوكب يطلق على سكانه الحاليين بـ "الاستيكا"؛ لا يشيخون ولا يموتون بالمعنى الإنساني، فيوم الكوكب الواحد يعادل 600 يوم أرضي، وفي نهاية كل يوم، تتبخر أجساد السكان الحاليين وتتحول إلى هيدروجين، وفي اللحظة نفسها، يتحول إلى دفعة جديدة من السكان بوعي متجدد وخصائص مختلفة وسط إرث الأسلاف.
اليوم، كل الاستيكا في كوكب "ثاء 616" لهم نفس الشكل، نفس السمات، ونفس الهدف: حماية التوازن وعبادة الله. مخلوقات قوية جداً ومسالمة، تعرف كيف تحمي وجودها وسط الفضاء بقوة دفاعية تجعل من يجرؤ على مهاجمتهم يتفتت إلى ذرات قبل أن يدرك ذلك.
أسلافهم البارحة كانوا أباطرة الرعب في الكون، هم من اخترعوا تكنولوجيا "تصغير النجوم"، حيث كانوا يقبضون على نجم ويضغطونه حتى يصبح بحجم كرة التنس ليضعوه في محركات مركباتهم... لقد نهبوا كواكب حتى جاعت مجرتهم.

بدأ أستيكا يقرأ محتويات الأسطوانة الذهبية. سمع سلاماً بكل لغات الأرض. رأى صوراً لبشر يبتسمون، ولأزهار تتفتح، ولأبنية شاهقة.

استدعى أستيكا بحثاً موجزاً لأسلافه قبل يومين حول كوكب الأرض، فرأى في السجلات القديمة ما لم يضعه البشر في أسطوانتهم الذهبية؛ رأى الحروب التي لا تنتهي، رأى كيف يبيد البشر بعضهم من أجل أوراق قطنية ذات قيم محدودة في أماكن تدعى البنوك.

رأى مخلوقات تعيش على الأرض لا يمكن للبشر إدراكها، وأماكن عديدة لم تطأها قدم، ثم رأى شجاعة شعب محدود الإدراك في محاولة إثبات نفسه في المجهول. حمد أستيكا الله على بديع صنعه، ثم توقف "أحدهم" عن الكتابة لعجزه عن بناء شخصية مختلفة عن الإنسان، وكما أنه بدا مقللاً كثيراً من قيمة الأرض والإنسان، وفي كل الحالات لا يقدر على انتقاد الفطرة البشرية أو تخيل شيء أعظم من الإنسان، والإنسان عظيم لدرجة أنه خليفة الله على الأرض؛ لذا ارفع من شأنك أيها الإنسان لكن لا تغتر.

عندما كان في منتصف "غاب الرذيم"، ملَّ أحدهم من الكتابة عن التمرد والسلطة، وبما أن الفضاء الخارجي صار يثير اهتمامه، قرر كتابة فصل جانبي عن قصة خارج ما يدركه. ولكي لا يكون هذا الفصل ورقة ممزقة من الكتاب، يستطيع المتلقي نسب هذه القصة لخيال مها، فقد مهدت له في مشهد صفع المعلمة.

وحقاً مسألة الثقب الأسود غامضة جداً، لكنني لا أعرف كم أصدق من المعلومات المتاحة؛ مسألة الزمكان هذه لا أفهمها، وفكرة العبث بالزمن هذه أراها تمرداً على فطرة الإنسان، ولا أقتنع بأي حبكة سفر عبر الزمن جادة. كل خيال في كل قصة هو كسر للطبيعة يجب بناؤه جيداً كي يقتنع المتلقي، لكن فكرة السفر عبر الزمن هي تدمير للطبيعة، وفي رأيي مستحيل بناؤها، وهذا لا يعني أنه لا يمكن استغلال الفكرة بشكل رمزي من أجل قضية أهم.

نظريات المؤامرة حول ناسا منتشرة في كل مكان، والأمر أعقد من أن أتخذ منه موقفاً، لكن نظريات المؤامرة دائماً دليل ضعف، مع أنها تحمل بعضاً من الحقيقة. فلتدرك الشيء بشكل عادل عليك بفلسفة "شكل المكعب"، وكما سمعت كثيراً من ثرثرة المدرسين: "الشك طريق اليقين في كل المسائل"... لكن الجميع يعرف الشمس ويراها، والشمس نجم وهناك نجوم أشد منه، ونار الشمس لا تعمل كنار الأرض، إذن فماذا عن نار جهنم؟ خذ ولاعة أشعلها واحرق رأس سبابتك، لن تطيق الألم فما بالك بالشمس؟ أو ما هو أشد من الشمس.

الإنسان كائن عظيم، سبحان الخالق، لكنه ضعيف في محيطه ألا وهو الأرض؛ نزلة برد بسيطة تجعل منه جثة عاجزة، وحتى لو كان قوي البنية والمناعة، فلا حيلة له أمام "الصدفة": انفجار، أو زلزال، أو سكتة قلبية، أو أي شيء خارج إرادته... كل هذا في كفة يستوجب "كواليس"، فهذه الكلمات لم تُكتب وحدها بل وراءها رجل يكتب بإصبعه.

افعله من أجل نفسك، بما فيه فعلك لوجه الله الذي بطبيعتك تطمع منه بالجنة، المهم كن أنت

كأنني أنني أكتب تنمية بشرية تجارية تافهة.

حسناً الآن ردد معي: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله. شكراً على الحسنات المجانية وأترككم مع الفصل ☺️

تذكرت صوت فتح لينك للصناديق في ألعاب زيلدا، تخيلو هنا لتجربة أفضل.

الفصل الحادي عشر: رذيم × سراب

ما إن تلقى سيد القوم نبأُ هروب جاسر، حتى جُنّ جنونه، فأمر بجلب حطاب ومها وشرع يحقق معهما بغلظة. وعندما لم يجد جوابا، نادى الجلادين ليتولوا أمرهما، فتقدمت أسماء تتوسل أباها أن يتريث، لكنه زجرها آمراً إياها بعدم التدخل تحت طائلة العقاب. أصرت الابنة، ولم يزد إصرارها الأبَ إلا حنقاً وغيظاً. وفي تلك اللحظات العصيبة، انتحر ثلاثة من أبناء ليث في آنٍ واحد، ليتشتت غضب السيد بين صرخة الجلاد ونحيب الجنازة، بينما زج بحطاب ومها في السجن.

في مجلس السيد، أخبر ليث كامل أن مها هي ابنة زوجته عبير، غضب كامل من الغيرة وترجى ليث أن يسمح له بقتلها من أجل شرفه، فأجابه «سأُمكّنُكَ ممّا بَغيت، ولكنْ.. لِكُلِّ نَبأٍ مُستَقرّ».

كان ليث حزيناً لفقدانه أبناءه؛ فقد استغنى عن بِكره الوحيد سعيد، الذي لم يرَ فيه قيمة يوماً، وفرّط في طفلين، والآن خسر ثلاثة. ورغم أنه بمقدوره إنشاء ألف ولدٍ برذيمه، إلا أنه لا يرى الأمر بهذا الرخص؛ فكل ولدٍ كونه يحمل قيمة سامية من قيمه، أو قيمة أرادها ولم يُدركها. ومن انتحروا هم: الابن الأكثر رحمة، والابن الأكثر عدلاً، والابنة الأكثر حكمة التي كان اسمها العنقاء. أما أسماء، فكانت مزيجاً من الحكمة والعدل وأسمى سمات ليث التي يملكها والتي لا يملكها، كانت تفوق أباها في ثباتها ودبلوماسيتها، لم تكن ذات كاريزما عالية بل تلقائية كطفلة بريئة، ومع هذا تستطيع فرض وجودها والتعامل مع أصناف الناس كافة بانسيابية، ولهذا السبب لم تتأثر بتغير نفسية ليث حينها.

طرد ليث جميع أتباعه من مجلسه، ولم يبقَ غير ياسر؛ طرد أخاه، لكن ياسر لم يلبِّ الطلب وبقي يبحلق فيه وهو يضحك ضحكة مستفزة.

في تلك الأثناء، استغل حطاب الفوضى التي عمت المكان إثر انتحار الأبناء، فكسر قيد زنزانته وخرج شاقاً طريقه نحو المجلس. خرج ليث وهو يشعر بالوهن والضعف، وهشاشة المكان الذي صنعه، فصار يرى جميع أتباعه أعداء. وبينما كان متوجهاً نحو العنقاء كي يهرب كما هرب الأسطورة وينشئ قبيلة أخرى مثالية يتحكم فيها، وجد حطاباً أمامه بنظرات تحدٍّ قاتلة.

كان حطاب وقتها ببنية جسدية قوية، أقوى مما كان عليه في الشاطئ الغابي، وعكس تلك البنية الضعيفة التي بدا عليها أول ما رفع سيفه في وجه ذلك الفارس في يومه الأول بالقبيلة. وبسبب العنقاء التي مسحت ذاكرتهما، لم يكن حطاب عالماً بأمر الرذيم، أو مدركاً لما أدركه سابقاً من كون ليث وراء تلك الكتب التي قرأها، لكنه كان ببساطة يسعى للانتقام من تلك المئة جلدة التي استُقبل بها في القبيلة؛ وبكل سهولة، غرس سيفه في صدر سيد القوم وقتله، وفي الوقت ذاته، تقاتل ستة من الأولاد وقتلوا بعضهم البعض.

حاول حطاب تفكيك الأمر وتحليله، لكنه لم يفلح وواجهه صداعٌ شديد، فرفع سيفه وصرخ:

_لقد قتلتُ سيدكم، وأعتقد أني بهذا قد صرتُ سيد المكان. أكره السلطة ولا أرغب في التحكم بغيري، لذا لا أعدكم بصناعة مجتمعٍ عظيم، لكن على الأقل سيكون مجتمعي أفضل للأفراد؛ لكل منكم أن يفعل ما يشاء، شريطة ألا يعتدي أحدٌ على أحد، ومن رغب في ترك القبيلة فله ذلك، لكني أحذره من خطورة المكان بالخارج.

أعدم حطاب كل من جلده وجلد مها، وحين ذكرت له مها أمر الرذيم، لم يدرك حطابُ معنى المصطلح بسبب تأثير العنقاء.

...

عاش ليث حياة عادية؛ حيث كان يعمل تاجراً في السوق، بينما كان ياسر يدرس في جامعة السينما. وفي إحدى المسابقات، تقدم ياسر بكتابة سيناريو لمسلسل بتمويلٍ حكومي، لكنه عجز وقتها عن تخيل قصة متماسكة تجذب الجمهور، فاستعان بأخيه ليث؛ لما عرف عنه من مخيلة خصبة. قصَّ ليث عليه حكاية من حكايات العنقاء والغربان، ونقّحها ياسر محوّلاً شخصياتها إلى بشر ومجرداً إياها من رمزياتها.

لم ينجح المسلسل فنياً، بل لقي نقداً لاذعاً نظراً لابتذاله وسوء إخراجه، لكنه حاز مشاهدات عالية؛ إذ استفز بابتذاله ورداءة إنتاجه فضول الجمهور الذين اتخذوه مادة للتنمر والسخرية، وكان ذلك العمل هو مصدر رذيم قبيلة ليث في الغابة.

كان ياسر رجلاً طموحاً يحب المال، ويصبو لحياة رفيعة تعوضه فقر طفولته. وبالمبلغ الذي تقاضاه من شركة الإنتاج اشترى ذهباً، ليبيعه بعد سنوات بقيمة مضاعفة، ومع أموال أخرى دخرها حلالا استثمر ليفتتح شركة ضخمة كانت الأولى في مجالها في تلك المملكة.

حاز ياسر مالاً وفيراً وتزوج من رسامة أنجبت له ابنته؛ كانت زوجته ترسم مناظر طبيعية جميلة وتضع سرب غربان في كل لوحة كبصمة خاصة بها، لإعجابها الشديد بهذا المخلوق.

بعد سنوات ماتت الزوجة وبقي رسمها يتأمله ماهر، وفي نفس الوقت ولسبب لم يفهمه، اممت الدولة شركته واتهمته بالتهرب الضريبي وخسر فجأة مصدر رزقه، وكانت تلك الصدمة كافية بأن يصاب بذهان مزمن.

تركته ابنته وصار وحيدا، لا يجد غير اخاه ليث مؤنسا له يتحمل نوباته، صار ياسر يعتدي على الناس في الطريق حتى تم نقله الى مشفى الامراض العقلية، في ذلك اليوم حين تغذى في منزل سعيد ثم قدمت الشرطة وحملته الى قفصه.

...

لم يكتمل اليوم الذي صار فيه حطاب سيداً حتى هجمت وحوش الغابة على القبيلة؛ كانت رذائم متراكمة صارت مصدرها تريند فجأة فازدادت قوتها. أما رذيم ليث فلم يعد أحد يذكره، ولم تكن القبيلة لتمتلك تلك القوة لو لم يكن صاحبا رذيمها، ليث وياسر، موجودين هناك؛ فصاحب الرذيم في مكان رذيمه بإمكانه التحكم في كل شيء، وإنشاء ما يريد وإزالته أيضاً.

انطلق الفرسان لكنهم لقوا حتفهم جميعاً، فالرذائم المتراكمة صارت أكثر شدة من رذيم ليث المنسي. وأحد تلك الرذائم المتراكمة كان رذيم زوجة ياسر؛ فقد نشر أحد المشاهير إحدى رسوماتها وصنع اهتماماً من الناس بعملها، فتقوى رذيمها وتجسد في الغابة. في ذلك الوقت، خرج سليم من السجن بعدما أنهى فترته كاملة...

...

بعد خمسة عشر عاماً، ازدهر اقتصاد الدولة من ناتج محلي وتنمية مستدامة، وسددت كافة ديونها الخارجية، وصارت أكثر الدول العربية تقدماً. عرف الرئيس ماهر كيف يستفيد من الموارد الطاقية والكفاءات، فأتت استراتيجيته بنتائج مزدهرة. انسحب ماهر من جُلّ الاتفاقيات الدولية الحساسة مما أثار حفيظة الغرب؛ فقد توقع العداوة وقرر تخصيص ميزانية لامتلاك أسلحة ردع شامل كي يستعد للحرب، لكن الميزانية في البداية لم تكن بتلك القوة.

أعلن ماهر عن رغبته في توحيد الدول العربية لتستفيد فيما بينها وتستغني عن التدخلات الخارجية الماكرة، وأثارت خطبته الجدل وسط ثناء الشعوب، بينما اعتبرتها القوى العظمى إعلان حرب، وبدأت أصوات المعارضين تعلو وتحرض على الخوف.

لم يرغب ماهر في إغلاق هذه الأفواه، فقد كان داعماً للديمقراطية ويسمح بنشر كل الآراء، وكان يرد على هذه الانتقادات بخطابات حماسية تثير الشجاعة في نفوس مؤيديه.

وبعد مدة، نجح في توفير عدد من الأسلحة النووية، وصارت الدولة نداً لأعدائها المباشرين، لكن لم يبادر أي طرف ببدء المواجهة المسلحة...

...

[اترشف قهوتي في عشية شتاء روتيني مكرر، بينما أصبر على ثرثرة الأستاذة صبر الحمار الإستوائي على زنجي روسي، حيث يسرح عازف المزود بخياله اللاتيني... ما أجمل الصيف !]

الفصل الثاني عشر: بيدق

انتظمت البيادقُ الثمانيةُ البيضاء أمام السوداء، تحجبُ خلفها بقية قطع الشطرنج.

تحرك البيدقُ الذي كان واقفاً أمام الملك الأبيض خطوتين، فواجهه البيدقُ الأسود متسائلاً:

— ما هدفُك أيها القزم؟

— صناعة مجالٍ محكمٍ للهجوم على الملك.. أعتقد.

— أنا أكره هذه اللعبة، لستُ سوى أداةٍ وُجدت لحماية الملك.

— كل القطع هنا صُنعت لحماية الملك.

— لكنه لا يتفوق علينا بشيء، سوى بنقشٍ أدق ووزنٍ أثقل، وحركاته هي الأعجز بيننا جميعاً. لماذا لا يمكننا قتله حين نقترب منه كأي قطعة أخرى؟

— هل جربت يوماً أن تصل إلى الصف الأخير لترتقي وتصبح قطعة أفضل؟ لقد جربت في جولات عديدة أن أرتقي لملكة، أما في هذه الجولة.. فأفكر أن أصير حصاناً، فحركاته تعجزُ حتى الملكة.

— ثقتُك عالية وكأنك تملك إرادة، أنت مجرد أداة تحمي الملك الأسود، وأنا كذلك، لكنني أرغب بشدة في النيل من الملك الأبيض.

— لكنه سيدك!

— كلانا مجرد قطع بلاستيك، وهذا الجبان لا يفرق بيني وبين أي بيدق أبيض آخر، لذا عليّ إثبات ذاتي بالتمرد.

— وما خطتك؟

— لا أملك خطة، فأنا مجرد بيدق محدود حتى الآن، لكنني سأنال منه. ربما تتغير قوانين الشطرنج كما تغيرت قبل سنين.

— وهل تعتقد أنك لو ارتقيت سيرتقي مستواك الفكري؟

— منذ أن صنع عباس هذه الرقعة لم أرتقِ ولا مرة عكسك أنت، كيف كان الشعور؟

— كبطلٍ سينقذ اللعبة، يعتمد مصير اللون كله عليه.

— أحسدك، فرغم كونك بيدقاً إلا أنك نلت من ملكي مراراً، لكنك لا تقدر على الوقوف في وجه سيدك الأسود .. وأنا أريد ذلك.

— ألا تعتقد أنها غايةٌ لا تُدرك؟

— تباً لعباس! إنه عنصري ضد لوننا الأبيض، منذ أن صنعنا لم يلعب من جهتنا أبداً، ودائماً يذلنا تحت يد لاعبين ضعفاء، خاصة هذا الشاب الكتوم.

بعدما خسر سليم للمرة المئة، اقترح عليه عباس أن يعلمه التقنيات الهجومية باللون الأسود. قُلبت الرقعة، وجعل عباس سليماً ينال من جميع قطعه البيضاء ولم يتبقَّ لعباس غير الملك وذلك البيدق المتمرد، ثم بحركة مفاجئة فاز عباس على سليم بكشمات عبقري، أدركت القطع البيضاء طعم الفوز لأول مرة، ففرح البيدق المتمرد ونسي أمر تمرده.

— يا أستاذ، أنت لا ترحم!

— أنا هنا أعلمك كيف تلعب، لن أهديك فوزاً سهلاً.

— ألا أملك حظوظاً للفوز عليك قبل إطلاق سراحي؟

— التوقع عنصر هام في الحياة، لكن كما أخبرتك.. لا تبُح بتوقعاتك، لذا سأجيبك بلا أعلم...

— حسناً، أنا ممتن لك يا أستاذ، لقد أنرت هذا الشهر من سجني. أشعر بالحزن لأني سأخرج غداً بينما ستبقى أنت هنا شهرين آخرين.

— يا ابني، الرجل لا يبكي على الفراق. أنت في رحلة حياتك؛ ولدت وحيداً وستموت وحيداً. نحن لسنا إلا بيادق تلتقيها ولا تعرف متى تفارقها، والتفكير الزائد في المشاعر لن يزيدك

إلا حزناً. لقد فارقت أباك كامل ثم أباك سعيد سعيد وكل من عرفته في المملكة، وقبل سبعة أشهر فارقت والديك، والآن ها أنت تفارقني.. لكنك غداً ستخرج وتدرك والديك إن شاء الله، ومنزلي مفتوح لك في كل وقت. هي فترة وتمضي، الحياة مليئة بالبلوت تويستات، والآن أخبرني، هل تخطط لحياة أفضل خارج السجن؟

— بخصوص الفراق فكلامك صحيح، لكن أختي مها وأبي سعيد اندثرا، كامل لا أتذكره لذا لا أهتم، والفراق بيني وبينهم حقيقة. أما عن خطتي، فإن شاء الله سأبيع قطعة أرض ورثتها من كامل وأفتح محلاً تجارياً صغيراً ينمو مع الوقت؛ أفكر أن يكون محل معجنات فمشروع كهذا لا يحتوي مخاطر مالية، وأريد أيضاً بناء مسجد أو اثنين؛ أريد حنفية حسنات تعوض كمية المخدرات التي استهلكتها. ولِمَ لا، قد أرسم مانجا وأنشرها، فقد تعلمت الكثير في تجربة سجني هذه.

— أحسنت يا ابني، اتبع حلمك وشغفك، ولا تنسَ يمينك أمام خالقك ووعدك بألا تعود لتلك الموبقات.

— وأنت أيضاً لا تنسَ وعدك لي بأن تدرسني مادة الاقتصاد مع تلاميذك، لطالما كان لدي فضول حولها.

في تلك اللحظات، ماتت عبير .. دخل سليم منزل عائلته ليعلم خبر وفاة أمه.

...

دمرت الوحوش قبيلة ليث تدميراً، ولم يبقَ على قيد الحياة غير مها وحطاب، يعيشان جوعاً شديداً.

اعتذرت مها لحطاب وأخبرته عن خطتها مع جاسر ونكرانها لجميل إنقاذ حياتها مراراً.

وبعد وقت قصير، تذكر حطاب ما أنسته إياه العنقاء، وأدرك كل غموض الغابة. بدأ يبصر بحر الشاطئ الغابي، فجرب تحريك الثعابين فتحركت؛ أخبر مها، فأحضرت بتروسورها الذي حملهما نحو الشاطئ الغابي.

قدم الحشاش، واشتبك مع حطاب في قتال ساكوجا عالي الجودة. وبعد جهدٍ مضنٍ، دُمّر الحشاش. وأثناء ذلك، كان سليم يقرأ كتاب "حطاب يثبت ذاته" ويحن لذكرياته مع صديقه

الذي اختفى فجأة؛ لقد تذكره كثيراً في سجنه واعتقد أنه مسجون سراً أو أن مكروهاً أصابه من قبل الشرطة.

أخذ جهازه اللوحي ورسم "بيدقاً".. وفي الشاطئ الغابي، ظهر أمام حطاب ومها رجلٌ آخر، يشبه حطاباً تماماً كما كان قبل أربع سنوات.

...
"توقعتُ أن أنتهي قبل الجميع، بينما ها هم الجميع يمرّون أمامي..."

واجه سليم نفسه وقرر الذهاب للمرة الثانية إلى الطبيب، بعد أكثر من ست سنوات من تجنبه لملفِ حكمٍ محتوم، ومحاولةِ التخلص منه بحرقه؛ فبقي الرماد في مكانه ولم يقدر على كنسه أو محو سواده. لطالما خشي الموت وخشي التفكير في أمر ورمه، فقد كان شوكة في حلقه، وعقدة ينكسر قلبه عند الاقتراب من هالتها. لكنه في السجن أدرك تفاهة مرضه، بل كان في أوج الاستعداد للموت لما ذاقه من ذلّ وقلة حيلة.

لم يخبر الأستاذ عباس عن مرضه، لكنه أخبره عن كل شيء في حياته المعقدة، وقد استخلص له عباس عبرة من كل بلاء، وهو بذاته أدرك عبراً لم يكن متأكداً منها حول الداء. تذكّر العبرة التي لقنه إياها سعيد وبنى عليها معزوفة الشاطئ :
«الدنيا اختبارُ حياةٍ لا تكافئ الأغصان الناعمة».

رأى نفسه غصناً هشاً ينتظر انكساره وانفصاله عن الشجرة، فقرر عوضاً عن ذلك أن يواجه العاصفة؛ فإما أن ينتهي تماماً، أو يندهش من بقائه. حجز موعداً وكان يرتعش من شدة التوتر، ثم تذكر أنه يخبئ لفة حشيش داخل كتاب؛ دخنها وقصد الطبيب، متناسياً أنه حلف يميناً ألّا يعود للمخدرات أبداً. في الطريق، وجد قطاً يشبه قطه الميت، فاستغرق في التفكير في الحكمة من حياته ثم موته بتلك الطريقة، وتخيل نفسه ضعيفاً كقطه، ويأتي مخلوق يفوقه قوة يبقر بطنه بصخرة مدببة. فكر في هذا المخلوق فبادر ذهنه حيوان الأسد، وتذكر التوكوساتسو، وتذكر الحشاش الذي تخيله.

في العيادة، وأثناء انتظار دوره، أمسك بجهازه اللوحي وبدأ يرسم ذلك الوحش السادي، لكنه هذه المرة لم يرسم قطاً، بل رسمه كما تخيله، كما شكله في الشاطئ الغابي. كان هناك معجب بأعماله يتربص به ويسترق النظر إلى رسمه، وبعدما أكمل سليم الرسم متجاهلاً العيادة ومن فيها، عبّر المعجب عن إعجابه بجمال الرسمة وطلب توقيعه. ابتسم سليم من الإحراج، ثم نظر إلى الرسمة ولم يكن راضياً عنها، فحذفها فوراً مضحياً بجهد نصف ساعة ... في اللحظة التي نادت فيها الممرضة اسمه.

...

بعد خمسة عشر عاماً، تدنت نسبة الفقر والجريمة، وتم اغتيال ولي عهد إحدى دول الغرب. ما زال البعض يحنون للمسلسل الذي كتبه ياسر ويتابعونه، وما زالت معزوفة الشاطئ يُستمع إليها رغم اعتزال عازفها. أما يوتوبيا الأسطورة فقد صارت موروثاً ثقافياً، ولا تزال قضية اختفاء الرابر الذي نظمها تثير الاهتمام وتتعرض للتحريفات. اكتسحت غابة الرذيم رذائم أخرى، وتحول الشاطئ الغابي إلى وسط بقوانين مختلفة، أما حكومة ياسر الجديدة فقد متّنت حواجز المكان وجعلت الوصول إليه أمراً في غاية الصعوبة؛ ورغم هذا، تفقد البلاد سنوياً مواطناً واحداً على الأقل ممن وصلوا إلى الغابة، والحشاش رذيم متراكم في أعماق الغابة...

What?
hashash evolved into Happycat!

الفصل الثالث عشر: كي سيامو نوي!

دخل حطاب يوتوبيا الأسطورة، لعلّه يجد مخرجاً له ولمها من تيه الغابة؛ فقد حنّ إلى صخب الحياة المدنية. هناك، وجد وحوشاً قبيحة تشبه تصورات الإنسان عن الشياطين، ترقص وتسكر وتتعرّى. وعندما تأمل سلوكها، غلبه الغثيان واختفت رغبته في العودة إلى البشر؛ فما يراه لم يكن سوى انعكاس لسلوكهم العبثي في النوادي الليلية. عاد إلى الشاطئ جائعاً، ليجد هناك شخصاً يشبهه تماماً كما كان قبل أربع سنوات.

...

بينما كان سليم عائداً إلى منزله، لمح الباب مفتوحاً، فقرر مجدداً الإقلاع عن التدخين نهائياً، ظنّاً منه أنه غفل عن إغلاق الباب بسبب غياب تركيزه.

دخل المنزل ليفاجأ برائحة البنزين تملأ الأركان، وبحشد من الرجال، بينهم أبناء حيه، يمسكون بأنصال حادة وولاعات وينتظرونه بنظرات قاتلة.

أدرك وقتها أنه ميت لا محالة، فاعتذر لهم وهو يرتجف طلباً للعفو.

_ أين الحشاش؟ سأله شخص لا يعرفه بوجه مألوف.

_ لـ-لا أدري... أجاب سليم.

صفعه أحد أصدقائه، الذي كان قد قدم له أول لفافة زطلة وهو في الخامسة عشرة، قائلاً:

_ ماذا نطق فمك الكريه للشرطة قبل سبعة أشهر؟

تذكر وقتها كيف كان حطاب لا يطيقه وتعارك معه مراراً.

_ لقد اعترفتُ بأنه هو من يبيعني ودللتهم على منزله .. كنتُ مجبراً، فقد ضربوني كثيراً في التحقيق.

_ كاذب وواشٍ قذر! لقد تكلمتَ من تلقاء نفسك، والشرطة لا تضرب رعديداً مثلك؛ ليس احتراماً لك، بل خوفاً من تلويث أيديهم بنبتة قد تموت من لمسة. نظرة واحدة تكفي ليقدم جبان مثلك حيّه ونفسه وشرفه مجاناً. عارٌ أن يبقى حثالة مثلك معنا.

هدأت ملامحه فجأة:

_بالمناسبة، ثمن أجهزة السيت آب الخاصة بك سيجني لنا مالاً جيداً؛ فأنت تملك كرت شاشة خارقاً وخردة أخرى ثمينة. يا زعيم، هل نغتنمها ونُلحقه بذلك الشهيد ؟

رد الزعيم شارون:

_ لا تكن جشعاً، سنصفح عنه لو عوض لنا عن فعلته. حسناً، ابن حيينا الغالي، سنصفح عنك لو عوضت لنا بشيء بسيط .. لا تقلق لن نلمسك لو قبلت .. والحشاش لا يهمنا كثيراً وسنحميك منه لو عاد .. ما رأيك لو ذهبنا الآن إلى مصلحة الأملاك وتوهب لنا هذا المنزل الواسع وبعضاً من أملاك أبيك، رحمه الله ؟ لا تفكر كثيراً، فقط وضعنا بعض أغراضنا في هذا المنزل وها هو هذا الكيس يحمل رسوماتك اللطيفة وبعض العناب الحلو..

لم يشعر سليم بذلٍّ كما شعر به وقتها، وأدرك أنه أمام طرق مسدودة. تذكر خصال حطاب وكيف كان يتقاتل معهم رجلاً لرجل، وببرود تام شتم صديقه الذي يهدده وضربه بكل قوته بين فخذيه ... فسقط الصديق فوراً ... وتقدم شارون بعضلاته الضخمة ملوحاً بساطور ... تعجب سليم من وجود السلاح وللزعيم إمكانية قتله بذراع واحدة ... فكر في الانتحار للنجاة من الموقف لكنه لم يقدر، فجهنم أشد عذاباً ... وواجه ألم الضرب ... وعندما رفع الزعيم ساطوره استسلم سليم مترجياً ... وقع العقد ... ثم ألقوا به في شاطئه الغابي.

بعد يوم في سهرة، كان أحد أبناء الحي سكراناً ... افتخر بما فعلته عصابته بسليم، وما كاد ينتهي من كلامه حتى ازرقّت عينه من الضرب ... عرف باقي الشباب بالأمر ... وقرروا الانتقام لمقتل سليم.

داهموا المنزل واسترجعوه ... ثم اتحدوا مرتدين لثام الألتراس متجهين نحو منزل زعيم العصابة في الحي المجاور.

عرف معجبو سليم بالأمر حين لمحوا منشوراً للألتراس يوثق إعادة رسم اللقلق الخاصة بسليم على جدار مدخل الحي؛ فاعتبروا ذلك إشارة استرداد للحق، وهبّوا لدعم المجموعة مادياً وتفاعلياً.

هجمت المجموعة على منزل شارون حين كان يخطط مع أعضاء العصابة لشن هجوم على الألتراس بمساندة من الشرطة، وبعد جهد قليل أمسكوا بالزعيم وعلقوه أمام رسمة اللقلق عارياً، معلقاً من رجليه، ونشروا صوره على الإنترنت، ثم ربطوه عند مفترق طرق بجوار الكورنيش المحاذي للغابة لتمسكه الشرطة.

تقدّم ساسي بشكوى لاسترجاع الأملاك والقبض على أفراد العصابة، وبينما كان يشرح الأمر للشرطي، أرسل رئيس قسم الشرطة، الذي تخلص سابقاً من فهمي، رجلاً طعن شارون المقيد في المفترق، وهو يرتدي لثام ألتراس حي سليم، لتُلفق الجريمة للمجموعة، وبناء عليه مُنع الجمهور من حضور مدرجات مباريات الفريق.

ملاحظة المؤلف: ليس وكأن سليم شخص مهم في الحي، لكن دعم معجبيه أهم بكثير 💵

...

كان سليم ملقىً على الشاطئ يبكي قهراً، وتخيل في لحظة يأس أنه يمزق أحشاء الزعيم. وبينما هو غارق في خياله، تجسد أعضاء العصابة أمامه حقيقة. تردد في البداية، لكنه اندفع وخلع رأس الأول، ثم خنق الثاني، واستل سكيناً من العدم ثقب بها جسد شارون.

اعتقد أنه حلم، ولام نفسه لأن بطولته لا تظهر إلا في المنام، لكنه لمح حطاب يتعارك مع رجل غريب. حدق فيه جيداً؛ إنه حطاب، بملامح غيّرها الزمن، وإلى جانبه تقف أخته مها.

...

بعد خمسة عشر عاماً، اندلعت حرب عالمية وطحنت الدول بعضها بعضاً. لم تدخل دولة ماهر الحرب ولم تتعرض لأي هجوم.

لكنهم أعلنوا أن قاتل ولي العهد ينتمي لحكومة ماهر. ومع ذلك، لم يجرؤ أحد على إطلاق رصاصة واحدة تجاه أرضه.

خرج ماهر حينها وأعلن براءته، مؤكداً وجود مؤامرة ضده، وأوصى الدول المتقاتلة بإيقاف الحرب، مهدداً أي حكومة تكرر هذه التهمة الكاذبة بهجوم نووي.

الفصل الرابع عشر: الجيل الثالث

ترعرع عباس في وسطٍ فقير، فقرٌ مدقعٌ جعل أباه يرحل عن الدنيا مثقلاً بالديون. في الرابعة عشرة من عمره، شهد عباس إعدام عمه بتهمة قتل جندي أجنبي؛ لم يستوعب الصبي وقتها لماذا قد يُقدم عمه، رجل الأعمال الثري، على فعلٍ كهذا. كانت العلاقة بين الأخوين، سالم وعماد، متينة في الظاهر؛ سالم والد عباس كان فلاحاً كادحاً في أرض تتبع الدولة بأجرٍ أسبوعي زهيد، أما عماد فكان طبيباً بيطرياً يملك عيادة خاصة وشريكاً لياسر سرا.

كان لعباس أخٌ أكبر، يحضر لنيل درجة الدكتوراه؛ مولعٌ بالدراسة، متميزٌ ومنعزلٌ على حدٍ سواء، يقضي جلَّ وقته غارقاً في القراءة عن الأوبئة والأدواء، وكأنما يسكنه هوسٌ طبيٌّ محموم.

"لم أكن أفهم عائلتي وقتها؛ فأخي رحمه الله اذ كان مسلما، كان مجنوناً، وحتى إن لم يكن كذلك فلا شك في كونه مضطرباً، ولعل الذكاء الاصطناعي اليوم يحمل إنسانيةً وفهماً للبشر أكثر منه.

كان سلبي دائما يقلل من شأنه ولا يعجبه أي شيء، أدركتُ أيضاً أن أبي لم يكن أقل منه اضطراباً؛ فعندما أُعدم عمي، لم أرَ سالم فرحاً كما كان في ذلك الوقت. كان كلامه مع عمي في حياته يقطر عسلاً، لكن ما إن يشتغل محرك سيارة عمي مغادراً، حتى يصبّ أبي كل الغيظ والحسد الذي يكنُّه تجاهه. لم أفهم يوماً إن كان أبي يحب أخي أم لا؛ فمن المستحيل أن يذكره بخير في غيابه، لكنه لم يلمه مرة واحدة في وجهه، كانت تلك الازدواجية هي القضية التي شغلت طفولتي.

في حفل خطوبة أختي الكبرى، اضطررت عائلتنا لإقامة حفلةٍ، كانت مصاريفها كفيلةً بأن تُعيلنا لسنةٍ كاملة، لكن التقاليد عند أبي كانت مقدسة، وبطريقةٍ ما أُقيمت الحفلة. كنتُ وقتها أسمع جملةً واحدةً تتردد على لسان أبي بصوتٍ خفيض: "عماد حثالةٌ بخيل، أقسمُ ألا يضع ساقه في هذا الحفل".

يوم الحفل، لمحتُ البورش الخاصة بعمي تقترب، فركضتُ مسرعاً أُعلِمُ أبي بقدومه، وأنا أتحرقُ شوقاً لمشاهدة الأكشن الذي سيحدث.

لكن، وفجأة، سلّم كلٌ منهما على الآخر، وجلسا يتبادلان أطراف الحديث والبسمةُ لا تفارق وجه أبي.

حينها، قررتُ ألا أتدخل في عالم الكبار مرةً أخرى؛ عُدتُ للّعب في الزنقة والمقامرة على الكجات.. كنتُ ماهرا في التصويب، فزتُ بكجات أطفال الحي جميعاً، بينما بقي أخي كعادته غارقاً في دراسته وعبوسه.

في الحي كنا جميعاً في نفس الحالة المادية؛ كل الأطفال من عائلاتٍ بسيطةٍ مثلي، أو هذا ما اعتقدتُه حتى اكتشفتُ أن عائلتنا هي الوحيدة التي لا تملك هاتفاً قاراً. ووقتها، كالعادة، قررتُ ألا أهتم، وأن أصير غنياً بطريقتي التي لم أخطط لها؛ فكنتُ عندما أجمع الكجات التي ربحتُها من أصحابي وأتأملها، أشعر أنني الأغنى على وجه الأرض، وأنني أملك أحجاراً كريمةً ستكون كنزاً متوارثاً عند أحفاد أحفادي.

أخي ما زال يدرس .. لم أره يوماً مبتسماً، ولم يكن يصلي؛ لا أعرف إن كان مسلماً حتى أم لا، ولا أعرف ماذا سيصنع في حياته. كنتُ صغيراً، وحتى نظرته لم تكن توحي بأنه شخصٌ يحب الحياة لمرضاه، فعمي كان يحمل عطفاً تجاه الحيوانات أكثر منه، خاصة حماره سمبل.

سألتُه مرةً: أحقاً أصل الإنسان قرد؟

أجابني: ماذا تعتقد؟

قلتُ له: أنا أعرف سيدنا آدم عليه السلام.

فشتمني واتهمني بالرجعية والجهل؛ تساءلتُ وقتها: هل القردُ أعلمُ مني؟

ذات مرة، سافر أخي مع عمي إلى مملكة ياسر، فقد كان هناك نقصٌ في الأطباء، وكان ذلك أول جميلٍ ماديّ يقدمه عمي لصالح عائلتنا. وعندما عادا، كان عمي مستاء جداً من سلوك أخي؛ فقد كان ينظر بعبوسٍ لصاحب المشفى، بل واعتدى عليه لفظيا مما تسبب في طردهما"

عندما ذهب صالح أخو عباس وعماد إلى المملكة، حاول صالح قتل عمه في الفندق ثم اختفى فجأة، بقي عماد يبحث عنه لكن دون جدوى، حتى عاد صالح في اليوم الثالث ولم ينطق بكلمة عن غيابه، ثم ذهبوا لتقديم الملف في الوزارة وحدث ما ذكره العم للعائلة لكنه تستر على أمر محاولة صالح قتله.

"بعدها بفترة، تّم إعدام عمي بتهمة قتل جنديّ في المملكة، واكتشفتُ أيضاً أن أبي كان أخاه بالتبني وليس بيولوجيا؛ لم أهتم وأكملتُ دراستي، ومات أبي بعدها، ثم انتحر أخي بطريقةٍ بشعة. ركزتُ على نفسي وقتها، وقد أخذتُ نصيبي من ابتلاءات الدنيا والعلاقات التي تنتهي بسرعة، مخلّفةً وراءها دروسا قاسية

رغم موتهم جميعاً، كنتُ كلما وجدتُ صديقاً أحاول الحفاظ عليه، ينتهي بنا الأمر إما بالفراق أو بالعداوة، ونفس الأمر تكرر مع البنات اللواتي أحببتهن؛ أدركتُ حينها أنني أعطي العلاقات أكثر مما تستحق، وأنه عليّ أن أرسم حدوداً في كل صلاتي. فربما كنتُ أحاول تعويض النقص العائلي في منزلنا؛ فأمي توفيت وهي تلدني، وباقي مَن عرفتُ كانت شخصياتهم أعقد من أن أدركها.

تخرجتُ أستاذاً بعدها، وها أنا الآن أحقق سعادتي مع تلاميذي الذين أدرسهم، وأحاول أن أكون ذو أثرٍ سمحٍ في ذاكرتهم"

دخل حطاب الثانوية، وكانت علاماته في مادة الاقتصاد كارثية، ورغم هذا كان يحب حصة الاقتصاد عند عباس ويستمتع بالنقاش مع الأستاذ؛ فبالرغم من كرهه للدراسة وإكمالها قسراً، كان يغيب غالب الوقت، وعندما يغيب في حصة، القانون يُمنع من دخول الحصص التي تليها قبل تسوية الأمر مع الإدارة بجلب ولي أمره، لكن عباس كان يكسر القاعدة ويُدخل التلاميذ بدون بطاقة دخول ولا يسجل الغيابات، وحطاب كان معجباً بهذا التمرد.

ذات مرة، وقع حطاب في مشكلة واستُدعي لمجلس التأديب، وتفاجأ بوجود عباس يحقق هناك؛ لم يفهم حطاب لون عباس، أهو أبيض أم أسود؟ فإن كان متمرداً في عمله، فماذا يفعل على ذات الطاولة مع المدير اللعين؟ لكن عاد احترام حطاب لأستاذه حين أخذ ذات مرة علامة كارثية في المادة كادت تجعله يرسب، بينما كان أصحابه فرحين بعلاماتهم الجيدة في الاختبار السهل؛ أخذ عباس ورقة حطاب وقال له: "افرح مع أصحابك ولا تهتم"، وفي ورقة النتائج وجد نتيجته قد تضاعفت.

بعدها دعا عباس حطاباً ليدرس عنده دروساً خصوصية، كما يفعل كل الأساتذة في بيوتهم، لكنه لم يأخذ من حطاب ديناراً واحداً. نجح حطاب في البكالوريا وتوجه لكلية الفنون. وبعد سنوات، أعلنت الدولة قانون منع دروس التدارك في المنازل؛ ليس لأنهم يخشون على جيب المواطن، بل لأن دروس التدارك الخاصة تنتج مالاً حلالاً لا تعضه الدولة، فأنشأت حصصاً مسائية خاصة للتدارك في الثانويات وبأسعار تضاعف ما يدفعه التلاميذ للأساتذة في المنازل.

خرج عباس من السجن، وفاجأه تلاميذه باستقبالٍ أثلج صدره؛ فقد كان يدرسهم في منزله، ويشرح لهم بلغتهم، ولم يكن يطلب أجر الحصص أو يعدّها، فمن دفع له وهو يعلم أنه من عائلة قادرة كان أجراً مباركاً، ومن دفع له وذكّره بماضيه أعاد له ماله، ومن هرب فالله أعلم بنيته.

كانت لديه عائلة سعيدة تعيش بهناء وأملاك وفيرة، وكان أكثر ما يهوى هو نحت الأجسام البلورية والأحجار الكريمة.

دخل إلى غرفته وهمَّ بإكمال قلادته من الزمرد الأزرق التي بدأها قبل دخوله السجن بتهمة

تدريس التلاميذ دروس تداركٍ خلسة، بينما طابعته ثلاثية الأبعاد تصنع بيادق جديدة بعدما أهدى رقعة الشطرنج التي صنعها سابقا وجلبتها زوجته له إلى السجن إلى أحد المساجين الذي هزمه في مباراة لأول مرة وراء القضبان.

أما التعليم، فحسب الدستور هو مجانيٌ إجباري.

...

بعد خمسة عشر سنة هدأت الحرب العالمية، وكانت الدولة الغربية التي قتل ولي عهدها هي نفسها التي تتحكم في ملك مملكة ليث وهي من دفعت لصالح كي يصنع الفيروس الذي صنع وباءا تسبب في عزلة سليم ومقتل زوجة سعيد وروضينة زوجة ياسر ثم ألفقت له تهمة مقتل الجندي لكن لخطأ بيروقراطي أعدم عماد عوض صالح.

الفصل الخامس عشر: قرص

توجه سليم نحو المعركة بخطى مترددة.. استطاع أن يجسد كل ما يتخيله من أسلحة وأدوات بقاء، وعندما شعر بقوته انطلق متحمساً وسدد شعاعاً من يديه قطع به الثعابين وهاج له البحر. كان فرحاً جداً ومنسجماً مع المشهد؛ لقد عاش هذا الأمر في خياله مراراً، وها هو الآن يدركه واقعاً. أما عن الورم، فقد شُفي تلقائياً، وكان تشخيص الطبيب السابق قاصراً.

نظر إلى حطاب الذي كان يضرب حطاب الآخر بلكمات عنيفة، تماماً كاللكمات التي يريد ضرب نفسه بها عندما يتذكر ماضيه. تذكر الحشاش الذي رسمه في أول مشهد من هذه الرواية وتخيله بوحشية أكبر؛ جسد نفسه التي يكرهها ثم جعل الحشاش ينال منها.. وبينما يرقب مذبحته، كان يشعر بألم عميق جراء الجَلد، ولم يقدر على إيقاف الأمر. بعدما فُرم تجسيد سليم لنفسه، أغمي على صاحب الرذيم.

حملت مها أخاها نحو الكوخ، وبعد فترة وجيزة طارت أشلاء جثة سليم المفرومة نحو جسده الحقيقي وعاد إلى وعيه:

— هل أصابك مكروه؟

— ألقد أتيت يا أخي! حطاب أيها الساذج، قلت لك إن أخي سيقدم.

— آه نعم، أخوك لا يخلف وعوده، أما أنت.. ماذا تفعل مع أختي هنا؟

أجاب حطاب:

— لو لم أكن هنا لقطعها قطك في لحظتها الأولى، كما عصرك قبل قليل...

— قطي؟ .. آه حقاً، هناك علاقة لا يعرفها غيري بين ذلك الوحش وقطي اللطيف الذي قتلته لي؛ كذلك الرمال المتحركة، لون البحر الغامق، هذه الأشجار .. كل شيء هنا نابع من فكرة تخصني.

— وما فكرة تلك الأشجار القاحلة؟ ثمانية أشهر وأنا أحاول فهمها ولم أخرج إلا باستنتاج كونها مشنقة؛ لا أتذكر أنها أنبتت ثمرة يوماً.

— هاااا.. إنها أشجار تطلق شعور "الماريجوانا".. أو لا أعلم، لو كنت أستطيع شرح فكرتي بالكلمات لما عبرت عنها بمعزوفة بيانو.

— حسناً، صرت أفهمك الآن؛ كيف كانت السنوات الأربع الأخيرة من حياتك؟ أختك قالت إنك صرت تعمل في مطعم، وأحدهم ذكر أنك في السجن، هل هذا صحيح ؟

— نعم، كنت حيواناً مطيعاً في السجن. قبل قليل كنت أفكر في تدارك الماضي لأصير أفضل، لذا جسدت نفسي وقتلتها من أجل النسيان، لكن يبدو أنك تفوقني حيلة هنا، وحتى الشيء الذي كنت أفوقك به، ها أنت تشرحه وتفهم فني أكثر مني.
عندما خرجتَ من الحجز ذكرتَ لي أنني لو أجرب ما جربته سأعزف أكثر مقطوعة سعيدة؛

كلماتك وقتها ثقبت صدري وشعرت أنك تدخلت في أمر خاص بي لا يحق لك ذكره، لأجد نفسي خارج أفكاري وأنت الواعظ التافه تعيش في عالمي مع أختي .. مها، أعتذر، فأخوكِ جبان لا قيمة له، دخل إلى هنا بأذل طريقة رغم أنه كان في نعم لو استغلها جيدا لجعلته أكثر إنسان ناجح، لكنه دمر نفسه.

— لقد تطورت أيها الوغد! أتعلم؟ كنت أعتقد أنني أفضل منك حيلة اجتماعياً، ومواعظي لك أشعرتني كثيراً بالاستعلاء، لكن لم تكن هناك أي قيمة لذلك، والدليل أنني هنا منعزل منذ أربع سنوات، خاضع لقانون الشخص الغبي الذي كنت أحاول أن أجعله يجرب نصائحي. لم أحدث ثورة ولم أغير شيئاً، والميت الآن حيٌّ أكثر مني. سليم، تستطيع الآن التحكم في هذا العالم كما تشاء، وتستطيع الخروج منه وإخراجنا؛ سأطلب منك شيئاً واحداً: جسد لي شرطي استفزك في سجنك واجعلني أنال منه كما نال منك الحشاش، فانا هنا ابحث عن انتقام لم انله بعد، فاجعلني احققه حتى كذبا.

تذكر سليم ذلك الشرطي الذي ضربه في التحقيق رغم تعاونه، وجسده كما هو بملامحه التي لا ينساها .. رآه حطاب، وشعر بنشوة عميقة ثم تقدم لينتقم من فهمي ، ووقتها.. اختفى كل شيء.

...

عرف كامل أمر غابة الرذيم التي تستقبل الفنون التي يناقض محتواها مقصدها؛ في الوقت الذي كان الجميع يتحدث عن رداءة المسلسل الذي كتبه "ياسر"، ذكر "ليث" أمر مسلسل ياسر في كتاب له، ليدرك كامل أنه قد يكون المكان الأمثل للمجتمع الأسمى الذي يقوده أحكم الكتاب ليث.

سافر كامل واقترح خطة القبيلة على ليث. عرف حطاب الأمر، وبقي أمر الرذيم هذا يشغل باله. استغرب من تجسد الفن الرذيمي في الغابة، وأن الفن المباشر كأدبه جدير بالتجسد أكثر لأنه أوضح في رؤية الفنان، وبينما هو يحقق.. حُجز.

...

كثرت المظاهرات في دولة ماهر، وانقلب الرأي العام إلى معارضة تامة، وكانت بوادر الثورة قريبة. تم التدخل في الدولة واتهام ماهر كمجرم حرب ومخالف لقوانين السلام. في أشهر هُدمت كل الإنجازات التي صنعها، وكانت كل الطرق تؤدي إلى حبل المشنقة.. ذهب إلى الفيلا التي بجانب الغابة، ودخل جنينتها التي تحتوي رذيماً يسبب فقدان ذاكرة تام، وهنا.. انتهت قصة ماهر.

...

خرجت مها من المدرسة وقد ملّها الضجر؛ ذهبت وحيدة إلى الشاطئ والتقطت بعض الصور، ثم تسللت نحو الغابة وهي تسمع أغنية راب للأسطورة لحنها أخوها سليم، لتجد قلادة من الزمرد الأزرق .. فرحت بها كثيراً، ثم عادت إلى المنزل.

النـــــهـــــايـــة

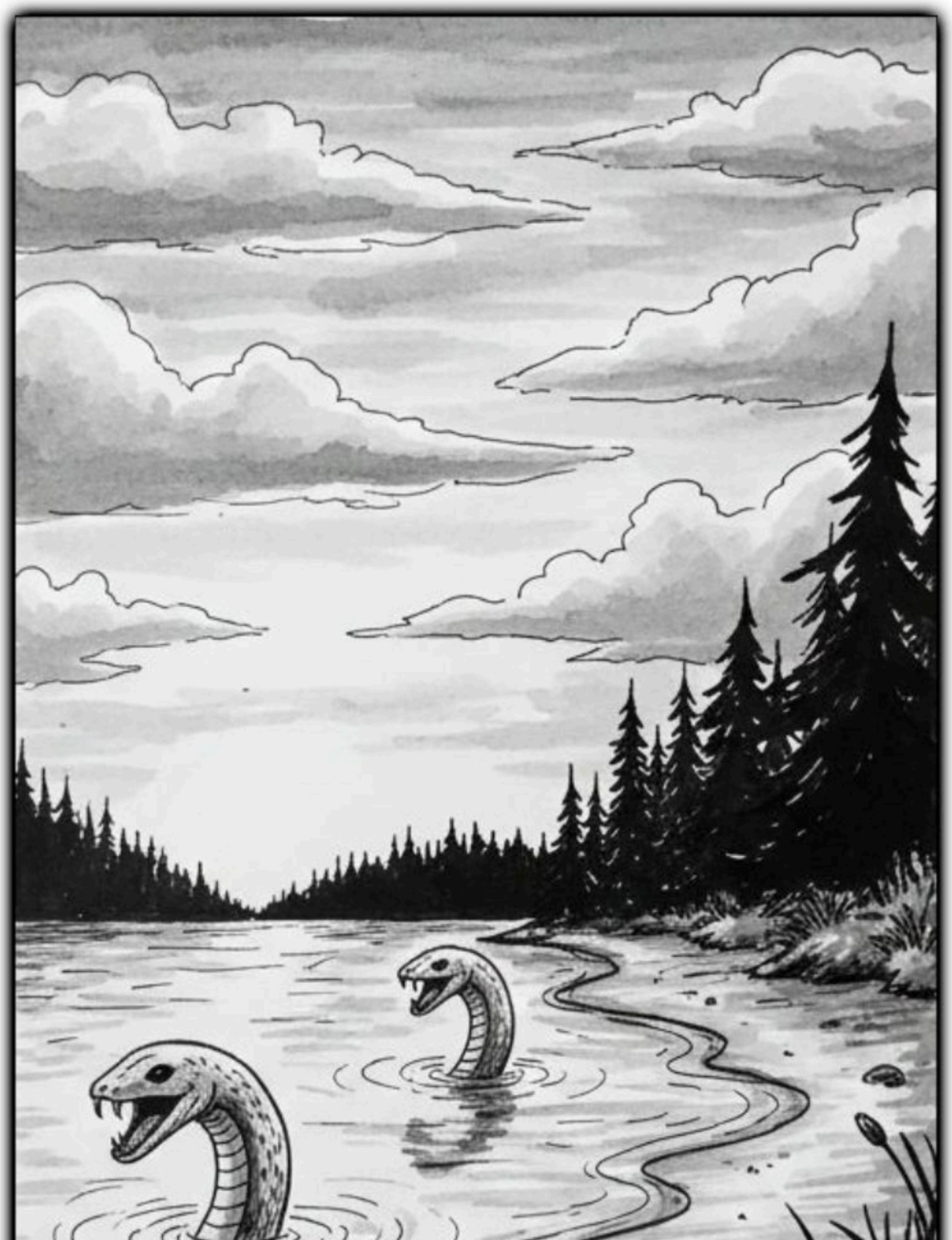

رواية للمؤلف

كانت الغابة أشبه بقطب جاذب، مكان تجمع رذائم متراكمة
على مر العصور، كل رذيم يحتلها يقحمها صفة ملعونة
تزيدها غموض وغرابة...
معزوفة زاهية مشحونة بالشر، اليأس والغضب، تحاكي في
أعماقها أعسار الدنيا وصراعاتها لتكون رذيما جبارا يكافئ
كل غصن ناعم مقدم عليه باختبار حياة فإما ينقضي أو
يترك لرذائم أخرى انتهى أصحابها تتولى أمره في ذلك
القطب الجاذب...

4.6/2.426/3.3/2.627.726.522.4